

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء السادس	تونس - في ربيع الثاني ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

فهرس العدد

المجلد الثالث — الجزء السادس

القطعة الاولى من ديوان الشيخ محمد الورغي نشرة (المجلة الزيتونية)

الاشتراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٢ — تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

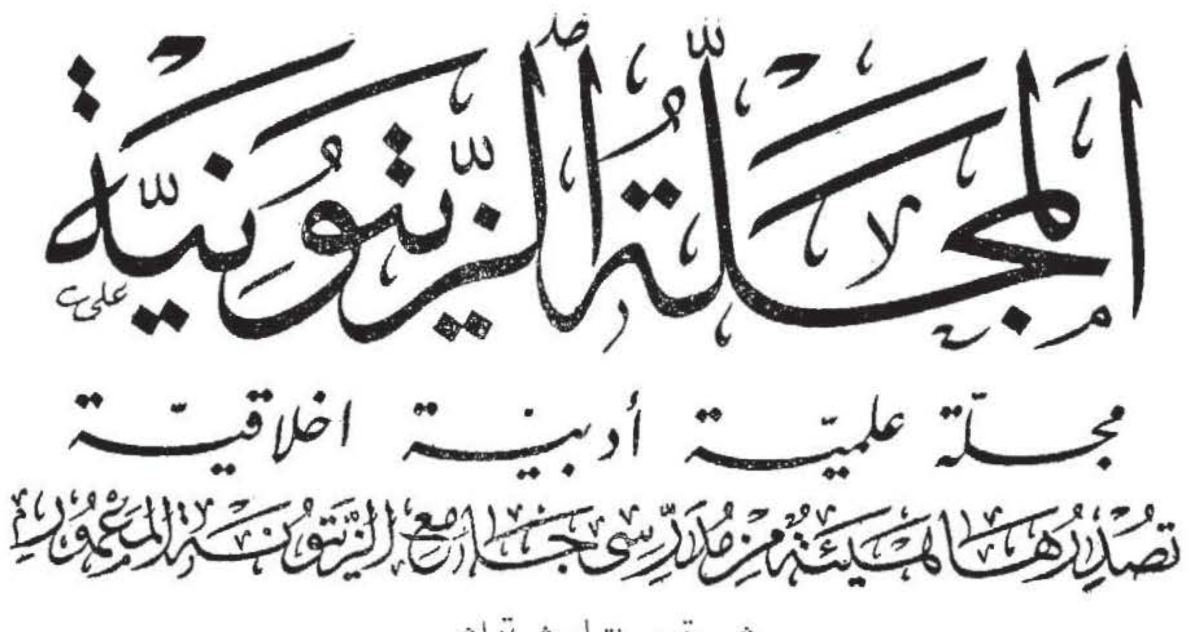
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي بن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء السادس	تونس - في ربيع الثاني ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

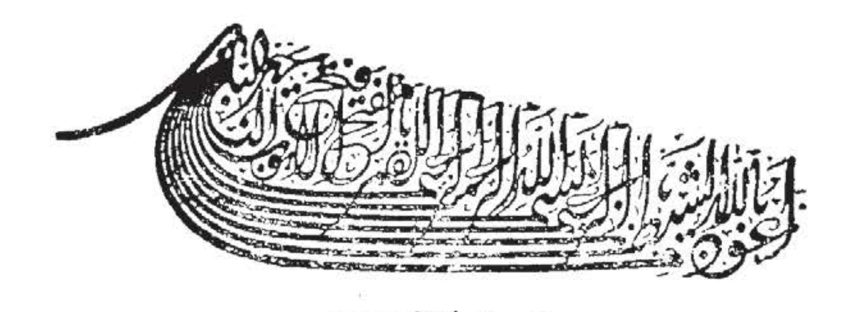
الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧



الامــة الاسلامية

تنشد الاصلاح

ان هذه الامة المباركة قد حفظ الله لها ميزتها وعلو مقامها بما أنزل على رسوله الامين من آيات الذكر الحكيم المتضمنة لسعادة الدارين فالقرآن هو النور الذي يشع ويهدي المسلمين الى اقـوم السبل ويبلغهم الى أسمى المقاصد ويدركون به السعادة التي هي مطمح انظار البشر من يوم الخليقة فاذا كانت الشريعة الاسلامية وتعاليم القرءان هي التي رفعت مستوى شعوب قد أدركها الهوان والعطب في العصور الاولى فهو على الدوام المرهم الناجع لعلل الامم في الحاضر كما سلمها مما أصابها في تلك العصور المظلمة .

واذا كان الناس اكثر ما يسلمون للامور التي يقع عليها حسهم فهذا التاريخ الاسلامي حافل بالحوادث العظام وشاهد على مبلغ تاثير الاسلام الزكي في تطور الشعوب والنهوض بها من كبوتها واخراجها لعالم الحقيقة رافعة الرأس متوجة باكليل الهداية حتى أضحى المسلمون المثل الاسمى الذي يقتدى به وسار الناس على غرارهم اينما كانوا وحيثما حلوا

ولكن المسلمين اخـذتهم العزة بالاثم وخلدوا الى شهواتهم واستبدلوا الهداية بالغوايـة فابدل الله عزهم ذلا وامنهم خوفا فاصبحوا عالـة على المجتمع يتكففون ويبتز النـاس خيراتهم من أيديهم وهم صاغرون قد داهمتـهم الخطوب من كل جانب وهم لا يشعرون فلما فتحوا أبصارهم وجـدوا نفوسهم مكبلين بوثاق الـذل والعار واستحكم الخمول من نفوسهم فلم يترك لهم ان يحركوا ساكنا وتتابعت عليهم صروف الليالي وحوادث الدهر تنبههم من سباتهم وتناديهم بصوت أشد من الرعد الصاخب قـد علمه من في السماوات والارض أن تنبهوا فالويل لكم ان دمتم على سباتكم القديم

وتحركت العواطف وتشققت الاجفان تنظر الى مـا حولها فلم تجد ما تركت عليه العالم يـوم كان فى قبضة يمينها زمامه هنالك أيقنت ان الخطب شديد نفضت عن نفسها رداء النوم ورامت ان تنهض من مضجعها تبحث عن سبب لتتعلق بـه وتستعين به في الدخـول الى هـذا المعترك الزاخر الصاخب

فوجدته متنكبا لها لم يحفل بخطواتها التي تخطوها في سيرها البطيء شان كل من مسح عن اجفانه غثاء النعاس والنوم ما زال يعاوده وتحن اليه اجفانه فهو يحط من قواه وهو يظن انها مداعبة النسيم باغصان الوردة الناعمة

اجل ها هي الامة الاسلامية قد ادركت ان ذلك الغرور الذي يمليه عليها الخيال يجب ان تبعد عنه وعلمت انها حالة يجب عليها ان تستبدلها بخير منها وطفقت تبحث عن الادوية لتعالج ما اصابها من وهن وتفحص عن وسائل تقدم الشعوب لتجاريها في هذا السباق الحيوي والامل يملأ ما بين جوانبها

فكانت نهضة طيبة في ذاتها طيبة فيما تعلقه عليها من عز وسؤدد وشرف ولكن الفوس خالطها من الانحراف عن سبيل الرشاد ما خالطها . والاخلاق اضحت موبوءة من تاثيرات بعضها يرجع الى تلك الغفلة التي صحبتها عند ما كانت فاقدة الشعور الصحيح وبعضها يرجع الى ما حيك لها من الدسائس او ما عليه غيرها من المفاسد ولما كانت تروم مجاراة الغير تسارعت اليها مساويه قبل محاسنه

وبما أن الشباب اشد تأثرا وسرعان ما يغمره السيل لقلة تجاربه كان تسرب تلك المساوي اليه أقرب وهو عن رد مفعولها اضعف بل ربما وقع في شراكها وهو لا يعلم انه زج بنفسه في معاطب ربما كانت عليه وبالا اشد مما رام التملص منه . وبهذا تعين علينا أن نبحث في أمرين عظيمين أولهما العلل التي اصابت المسلمين وعلى الاخص شبابنا الذي هو معقد الآمال حتى نعلم بعد ذلك طريق العلاج . والثاني ما هي الادواء التي تصلح مجتمعنا وتدفع عنه او تخفف شيئا فشيئا ما الم به من العلل وتكون سليمة من الغش لا انها تصلح عضوا وتنهك قوى عضو آخر يبقى معه جسم الامة عليلا ولا تكون حينئذ هذه المعالجة ناجحة الذي هو المطلوب بل ان من الادوية ما يحدث امراضا لبعض الاعضاء يكون خطرها اشد من خطر المرض الذي نروم معالجته فمعالجة امراض الامة امر له خطره وله شانه العظيم وليس كل حكيم في مقدوره ان يصف طرق العلاج والحكيم الماهر هو الذي يقدر ان يكون علاجه مراعى فيه دائما الحذر من الاصابة الطارئة على جسم الامة العليل ويحيطها بسياج الوقاية حتى تسلم مما اصابها ولا يتطرق الخلل الى ناحية اخرى ربما يكون خطرها اشد وحينئذ يبقى جسم الامة عليلا ولو تظاهر الهيكل بالنقاوة والسلامة

واذا شكى رجالات هذه الامة في العصر الماضي مما اصاب الامة مما وصفناه اولا من الخمول والسبات والمرض الفتاك والامة لم تشعر بما اصابها . فنحن نشكو اليوم مع ذلك من العلل الطارئة من مفعول سوء المعالجة لهذا قلنا ان الامة يلزمها ان تبحث عن امرين عظيمين اسباب السقوط والعلل التي انهكت جسمها حتى اضحي عليلا لم يبق في مستطاعه ان يضرب بسهم صائب في الحياة ثم بعد معرفة العلل يلزمها ان تتخير طرق المعالجة والمراهم التي نفعها محقق ولا خطر فيها .

وكاني بسائل يلقي سؤاله متحيرا متوجعا وهو يقول ألهذا الوقت وانتم تبحثون عن العلل وتبحثون عما يزيلها وقافلة البشر ممن سواكم دائمة السير لم تصدها هذه الفلسفة المبنية على التخوف وكل ذلك منشاه علل نفوسكم المتأصلة التي ما فتئت تسيطر عليها هواجس نفوسكم العليلة. وما دامت هذه الافكار مخيمة عليكم ومسيطرة على مشاعركم ومتأثرة بها نفوسكم فخطاكم لم تفارق مكانها الاول ولو انكم تحسبون ان تبديل الخطا وحده هو الذي يوصل الى الغاية كلا بل انتم تبدلون الخطا في مكان واحد وهذا لا يسمى سيرا لا في عرف الناس الماديين ولا عند من ينظر الى ما وراء المادة

والجواب ان الامم والشعوب مهما كانت عليه من الرقي او الانحطاط هي دائما تبحث عن الرقي والكمال وتدفع عن نفسها ما اصابها او ربما يصيبها من العلل والفساد ورجال الاصلاح وعلماء النفس وقفوا حياتهم على ذلك يعالجون المريض ويحيطون السليم بسياج الوقاية وأي أمة أو شعب لم يسلم من علة أو علل وانما يختلف ذلك قلة وكثرة وشدة وضعفا

والامة الاسلامية قد مرت بها أدوار مختلفة فمر بها دور عدم الشعور بالمرض والعلل حتى كثرت الاوجاع وعلت الاصوات بالشكوى ثم جاء دور البحث عن العلل ولكنها كانت متعددة فبحث رجالاتها عن العلل علة ثم أخرى وكلما تفطنوا الى نوع منها الا وصفوا دواءه وطرق معالجة ذلك الداء وليس في كل مرة يوفق الحكيم وليس كل معالج حكيم لهذا تكرر البحث وها هي اليوم في بعض ادوار الشفاء اذا وفق حكماؤها وأخلصوا وقدرت الامة على الصبر على شدة وطأة المعالجة وانقادت لما يوصف لها. وما أصعب الانقياد والتسليم. وحسن منها استعمال الادوية النافعة التي يصفها لها المصلحون

فما هي هذه العلل التي اصابت جسم الامة فأوهنته !

وكيف تكون بعد ذلك طرق العلاج الناجحة ؟

ليس الجواب عن ذلك في متناول كل احد ، ولا ان الامر بهذه البساطة يمكن وصفه في جملة او جملتين. وأرجو من الله تعالى التوفيق في معالجة هذا الموضوع بعض المعالجة

والذي أتناوله بالبحث اولا هو ما يدور على الالسن من أن العلة التي اصابت الامة هو تنكبها عن تعاليم الاسلام ودواؤها الناجح هو رجوعها الى الاسلام الصحيح

هذا كلام حسن وحسن جدا ولكن أرى الناس قد فسروه كل بما وصل اليه فهمه فوقعوا في بعض الاخطاء التي قد نشأ عنها اختلاف كثير كانت عاقبته عدم الوصول الى النتيجة الحاسمة

فمن الناس من فهم من ذلك ان الاسلام قد جاء بشريعة بعضها يرجع الى عبادة الله تعالى وبعضها يرجع الى كيفية معاملات الناس مع بعضهم فمتى رجع المسلمون للعمل بهما سلموا مما اصابهم. ووقف ذلك الفريق عند هذا الحد (البقية على صفحة ١٩)



يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا
يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

للعلامة الامام مولانا شيخ الاسلام
المالكي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

جملة يخادعون بيان ليقول لانهم حين قالوا ذلك قالوه في حال عدم كونه كما قالوا فكان قولهم على حال الخداع فتكون حالا مبينة ووجه عدم اقترانها بالواو ظاهر لانها اما بيان او حال مفتتحة بالمضارع

والخداع مصدر خادع اذا فاعل الخدع والخدع هو فعل او قول يوهم انه على وفق هوى مصدره وهو يكرهه او لا يعتقده ولكن يقصد به تحسينه وترويجه على الغير ليغيره عن حالة هو فيها او يصرفه عن أمر يوشك أن يفعله تقول العرب خدع الضب اذا اوهم حارشه انه يحاول الخروج من الجهة التي ادخل فيها الحارش يده حتى لا يرقبه الحارش لعلمه انه ءاخذه لا محالة ثم يخرج الضب من النافقاء . والخداع فعل مذموم الا في الحرب والانخداع تمشي حيلة المخادع بالكسر على المخادع بالفتح وهو مذموم ايضا لانه من البله واما اظهار الانخداع من التفطن للحيلة اذا كانت غير مضرة فذلك من الكرم والحلم قال الفرزدق :

استمطروا من قريش كل منخدع   ان الكريم اذا خادعته انخدع

وفي الحديث المؤمن غر كريم أي من صفاته الصفح والتغاضي حتى يظن أنه غر ولذلك عقبه بكريم لدفع الغرية المؤذنة بالبله فان الايمان يزيد الفطنة لان اصول اعتقاده مبنية على نبذ كل ما من شانه تضليل الراي وطمس البصيرة الا ترى الى قوله والسعيد من وعظ بغيره مع قوله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وكلها تنادي على ان المؤمن لا يليق به البله

وأما معنى المؤمن غر كريم فهو ان المؤمن لما زكت نفسه من ضمائر الشرور زال خطورها بباله وحمل احوال الناس على مثل حاله فعرضت له حالة استئمان تشبه الغرية قال ذو الرمة

تلك الفتاة التي علقتها عرضا   ان الحليم وذا الاسلام يختلب

فاعتذر عن سرعة تعلقه بها واختلابها عقله بكرم عقله وصحة اسلامه فان كل ذلك من اسباب جودة الراي ورقة القلب فلا عجب ان يكون سريع التأثر من حسنها

ومعنى صدور الخداع من جانبهم للمؤمنين ظاهر وأما مخادعتهم الله تعالى المقتضية أن المنافقين قصدوا التمويه على الله تعالى مع ان ذلك لم يقصدوه ولا يقصده عاقل يعرف ان الله مطلع على الضمائر والمقتضي أن الله يعاملهم بخداع وكذلك صدور الخداع من جانب المؤمنين للمنافقين كما هو مقتضى صيغة المفاعلة مع ان ذلك من مذموم الفعل لا يليق اسناده الى الله تعالى ولا يليق بالمؤمنين فعله يوجب تأويلا في معنى المفاعلة الدال عليه صيغة يخادعون او في فاعله المقدر من الجانب الآخر وهو المفعول المصرح به فاما التاويل في يخادعون فعلى وجوه : أحدها أن مفعول خادع لا يلزم أن يكون مقصودا للمخادع بالكسر إذ قد يقصد خداع احد فيصادف غيره كما اذا خادع احد وكيل احد في مال فيقال له أنت تخادع فلانا وفلانا تعني الوكيل وموكله فهم قصدوا خداع المؤمنين لانهم يكذبون ان يكون الاسلام من عند الله فلما كانت مخادعتهم المؤمنين لاجل الدين كان خداعهم راجعا لشارع ذلك الدين . ومعنى خداع الله تعالى والمؤمنين اياهم إغضاء المؤمنين عن توادده وفلتات السنهم وكبوات افعالهم وهفواتهم الدال جميعها على نفاقهم حتى لم يزالوا يعاملونهم معاملة المؤمنين فان ذلك لما كان من المؤمنين باذن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد نهى من استأذنه في ان يقتل عبد الله بن أبي بن سلول كان ذلك الصنيع باذن الله فكان مرجعه الى الله كما رجع اليه خداعهم للمؤمنين وهو تاويل في المخادعة من جانبيها كل بما يلائمه

الثاني ما ذكره صاحب الكشاف أن يخادعون استعارة تمثيلية تشبيها للهيئة الخاصة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله ومن معاملة الله اياهم في الاملاء لهم والابقاء عليهم ومعاملة المؤمنين اياهم في اجراء أحكام المسلمين عليهم بهيئة فعل المتخادعين وهو وجه بليغ

الثالث ان يكون خادع بمعنى خدع اي غير مقصود به حصول الفعل من الجانبين للمبالغة

وهذا انما يدفع الاشكال عن اسناد صدور الخداع من الله والمؤمنين مع تنزيه الله والمؤمنين عنه ولا يدفع اشكال صدور الخداع من المنافقين لله تعلى

وأما التاويل في فاعل يخادعون المقدر وهو المفعول ايضا فبان يجعل المراد انهم يخادعون رسول الله فالاسناد الى الله تعالى اما على طريقة المجاز العقلي لاجل الملابسة بين الرسول ومرسله . واما مجاز بالحذف للمضاف فلا يكون مرادهم خداع الله حقيقة ويبقى ان يكون رسول الله مخدوعا منهم ومخادعا لهم

ولا مانع من مخادعة الرسول والمؤمنين للمنافقين لانها جزاء لهم على خداعهم فهو كالخداع في الحرب فهذا يدفع الاشكال عن قصدهم مخادعة الله تعالى فضلا عن اسناد المخادعة لله تعالى اياهم لانها لا تكون الا في مقابلة خداعهم اياه وقد علمت انه منتف الا على طريقة المجاز

ولم يقرأها احد من القراء الا بلفظ يخادعون الا اباحيوة قراها يخدعون بناء على الوجه الثالث في الجواب

وقوله وما يخادعون الا انفسهم حال ثانية من الضمير في يخادعون الاول أي هم يخادعون الله والذين آمنوا في حال ان خداعهم مقصور على ذواتهم لا يرجع شيء منه الى الله والذين ءامنوا فيتعين ان الخداع في قوله وما يخادعون عين الخداع المتقدم في قوله يخادعون الله فيرد اشكال صحة حصر الخداع على انفسهم مع اثبات مخادعتهم الله تعالى والمؤمنين .وقد اجاب صاحب الكشاف بما حاصله ان المخادعة الثانية مستعملة في لازم معنى المخادعة الاولى وهو الضرر فانها قد استعملت اولا في مطلق المعاملة الشبيهة بالخداع وهي معاملة الماكر المستخف فاطلق عليها لفظ المخادعة استعارة ثم اطلقت ثانيا واريد منها لازم معنى الاستعارة وهو الضرر لان الذي يعامل بالمكر والاستخفاف يتصدى للانتقام من معامله فلا يعدم قدرة او غرة من صاحبه فيضره ضررا فصار حصول الضرر للمعامل امرا عرفيا لازما لمعاملته وبذلك صح استعمال يخادع في هذا المعنى مجازا او كناية وهو من بناء المجاز على المجاز لان المخادعة اطلقت اولا استعارة ثم نزلت منزلة الحقيقة فاستعملت مجازا في لازم المعنى المستعار له فالمعنى وما يضرون الا انفسهم

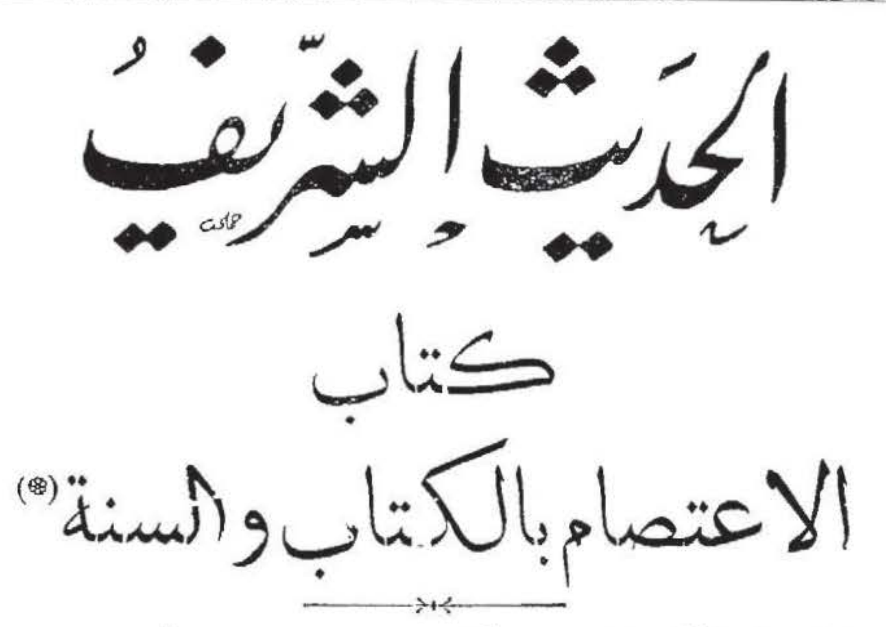
واما احتمال ان يكون يخادعون الثاني اطلق بمعنى غير المعنى الذي في يخادعون الاول فمما لا يرتضيه سياق الكلام البليغ لانه يصير بمنزلة الاستخدام وهو لا يحسن في مثل هذا المقام

ويجوز بقاء يخادعون الثاني على نحو ما فسر به يخادعون الاول من كونه استعارة للمعاملة الشبيهة بفعل الجانبين المتخادعين بناء على ما شاع في وجدان الناس من الاحساس بان الخواطر التي تدعو الى ارتكاب ما تسوء عواقبه انها فعل نفس هي مغايرة للعقل وهي التي تسول للانسان الخير مرة والشر اخرى وهو شيء بني على الحكمة الاخلاقية لاحداث العداوة بين المرء وبين خواطره الشريرة بجعلها واردة عليه من جهة غير ذاته بل من النفس حتى يتأهب لمقارعتها وعصيان امرها ولو انتسبت اليه لما رأى من سبيل الى مدافعتها قال عمرو بن معديكرب :

فجاشت علي النفس اول مرة فردت على مكروهها فاستقرت

فكانهم لما غصوا نفوسهم التي تدعوهم للايمان عند سماع الآيات والنذر اذ لا تخلو النفس من اوبة الى الحق جعل معاملتهم لها في الاعراض عن نصحها واعراضها عنهم في قلة تجديد النصح لهم وتركهم في غيهم كالمخادعة من هذين الجانبين والنفس في لسان العرب الذات والقوة الباطنية المعبر عنها بالروح وخاطر العقل

وقوله وما يشعرون عطف على يخادعون والشعور العلم بالاشياء الخفية ومنه سمي الشاعر شاعرا لعلمه بالمعاني التي لا يهتدي اليها كل احد وقدرته على الوزن والتقفية بسهولة ولا يهتدي الى ذلك كل احد . وقولهم ليت شعري في التحير في علم امر خفي ولولا الخفاء لما تمنى علمه بل علمه بلا تمن واما تسمية الحواس مشاعر فلانها اصل العلم بالخفيات لان اصل العلم النظري راجع



الاعتصام التمسك بالحبل والاعتماد عليه كما في تفسير القاضي رحمه الله تعلى فهو من لوازمه وعليه فاثباته للكتاب والسنة تخييل دال على وقوع تشبيه في النفس بين الكتاب والسنة وبين الحبل وهو تشبيه مقبول بدليل انه قد صرح به في حديث هو حبل الله المتين . والجامع ان الكل به الربط والوصلة النافعة للتمسك وحينئذ ففي التركيب استعارة بالكناية على حد قوله :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية انطق

ونظائره ، فالتشبيه استعارة بالكناية والاثبات استعارة تخييلية وحينئذ فكل من لفظي الاعتصام والكتاب حقيقة مستعملة في المعنى الموضوع له وليس في التركيب مجاز لغوي اصلا والمجاز الموجود فيه انما هو اثبات شيء لشيء ليس هو له وهو عقلي كاثبات الانبات للربيع وعلى هذا المذهب فالاستعارة

الى الضروري ومنته اليه . وقولهم هو لا يشعر وصف بعدم الفطنة لا بعدم الاحساس وهو ابلغ في الذم لان الذم بالوصف الممكن الحصول انكى من الذم بما يتحقق عدمه فان احساسهم امر معلوم لهم وللناس فلا يغيظهم ان يوصفوا بعدمه وانما الذي يغيظهم ان يوصفوا بالبلادة وخفاء مخادعتهم انفسهم مما لا يمترى فيه ولذلك اختير هنا لا يشعرون واختير مثله في نظيره في الخفاء وهو : الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . لان كليهما أثبت فيه ما هو المآل والغاية وهي مما يخفى واختير في قوله : الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون نفي العلم دون نفي الشعور لان السفه قد يبدو لصاحبه باقل التفاتة الى احواله وتصرفاته ولان السفه اقرب لادعاء الظهور من مخادعة النفس عند ارادة مخادعة الغير ومن حصول الافساد عند ارادة الاصلاح

(*) درس الحديث الذي ختم به العلامة النحرير الحجة الباش مفتي المالكي والامام الاكبر بجامع الزيتونة الاعظم أبوالفلاح الشيخ صالح النيفر برد الله ضريحه المولود سنة ١٢٣٦ والمتوفى سنة ١٢٩٠ القاه في رمضان سنة ١٢٧٣ بمسجد المدرسة المرادية

بالكناية والاستعارة التخييلية امران معنويان وهما فعلان للمتكلم ويتلازمان في الكلام اذ التخييلية يجب ان تكون قرينة للمكنية وهي يجب ان تكون قرينتها التخييلية . ثم ان الاعتصام اما بالكتاب فواجب قطعا قال شارحه : لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا . قلت ولعله حمل الحبل فيها على القرءان كما في الحديث المتقدم وهذا هو الذي صدر به ابو الفرس والقاضي في تفسيريهما والذي ذكره صاحب الكشاف وتبعوه ان الحبل في الآية مستعار للعهد لكونه وسيلة لربط شيء بشيء على طريق الاستعارة التصريحية وقرينتها اضافته اليه تعلى وذكر الاعتصام ترشيح وجوز فيه صاحب الكشف ان يكون باقيا على معناه أو مستعارا للتوثق وهو الذي ذهب اليه السمرقندي في الرسالة لكن جزم سعد الدين في المطول ببقائه على معناه ونفى ان يكون من المجاز او الاستعارة مستدلا على ذلك بعبارة الكشاف وهي قوله يجوز ان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام استعارة للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل بما يناسبه فقابل بين الاستعارة والترشيح . وبحث في هذا الاستدلال السيد الشريف بان قول الكشاف اوترشيح يحتمل ترشيح فقط فيكون قوله قبل استعارة اي اما مستقلة او تابعة لاستعارة الحبل ورده عبد الحكيم بانه تأويل وهو خلاف الظاهر والاستدلال في المقام بالظاهر لان المطلب ظني انتهى وهو رد متجه لان محصل بحث الشريف انه استدلال تطرقه الاحتمال وحاصل الرد انه احتمال مرجوح وهو لا يكون مسقطا فانه لا يكاد يوجد نص لا احتمال فيه لكن العمدة على الظواهر وتحقيقه ان الاحتمال اذا كان مساويا اومتقاربا يكون الدليل مجملا والمجمل لا يستدل به واما الاحتمال اذا كان مرجوحا فمعه اللفظ يكون ظاهرا والظاهر كالنص يستدل به . وهاهنا مسالة وهي انه روي عن الامام الشافعي رحمه الله تعلى انه قال مرة حكايات الاحوال اذا تطرق اليها الاحتمال كساها ثوب الاجمال وسقط بها الاستدلال فجعلها على هاته الرواية مجملة لا يستدل بها ومرة قال ترك الاستفصال في حكاية الاحوال يقوم مقام العموم في المقال فجعلها عامة يستدل بها . فبعض العلماء حمل ذلك على انهما قولان له اختلفا كما تختلف اقوال العلماء في المسائل بالنفي والاثبات والذي حرره القرافي في التنقيح ان قولي الشافعي هذين محمولان على حالتين فروايته الاولى في دليل الحكم والثانية في محله وتقرير ذلك على ما ذكره ان الاحتمال تارة يكون في دليل الحكم كقوله عليه الصلاة والسلام في المحرم لا تمسوه بطيب فانه يبعث يوم القيامة ملبيا فهذا حكم في رجل بعينه يحتمل ان يكون خاصا به فيجوز لمس غيره بالطيب ويحتمل ان يعمه ويعم غيره من المحرمين وليس في اللفظ تعرض لغيره بل يحتمل التعميم وعدمه على السواء فسقط به الاستدلال على تعميم الحكم في المحرمين لانه اجمال في الدليل وتارة يكون الاحتمال المساوي في محل الحكم والدليل لا اجمال فيه كقصة غيلان بن سلامة الثقفي فان قوله عليه السلام له لما اسلم على عشر نسوة امسك اربعا وفارق سائرهن ظاهر في الاذن في الاربع كيف كن من غير تعيين والاحتمال انما هو في عقود النسوة التي هي محل الحكم فيصح الاستدلال على العموم فله ان يختار تقدمت العقود

او تـاخرت اجتمعت او افترقت انتهى وهو تحرير حسن لو كان مذهب الشافعي في المحرم كمذهبنا لكن مذهب الشافعي رحمه الله تعميم الحكم المتقدم في كل محرم اخذا من الحديث السابق كما نقله القرافي نفسه عن الامام الشافعي وحينئذ فحمل العبارتين على قولين اولى . وها هنا تكميل مفيد وهو ان الامام ابا حنيفة رحمه الله يقول اذا تقدمت العقود على اربع وعقد بعد ذلك على غيرهن حرم عليه الاختيار من غير تلك الاربع لوقوعهن بعدهن ونكاح الخامسة وما بعدها لا يقر وانما الحديث محمول عنده على ما اذا عقد عليهن عقدا واحدا فلا يتعين الباطل من الصحيح فيختار اربعا يستأنف العقد عليهن قال شهاب الدين القرافي اثر ماتقله ومذهبنا انكحة الكفار كلها فاسدة والاسلام يصححها واذا كانت باطلة فلا يتقرر اربع يكون من عداهن يبطل عقده والحديث لم يفصل مع انه تاسيس قاعدة وابتداء حكم وشان الشرع في مثل هذا رفع البيان الى اقصى غاية فلولا ان الاحوال كلها يعمها هذا الاختيار والا لما اطلق صاحب الشرع القول فيها وقد اشار الى ذلك المحلي في مبحث العام من شرح جمع الجوامع ولفظه النبيء صلى الله عليه وسلم لم يستفصل هل تزوجهن معا او مرتبا فلولا ان الحكم يعم الحالين لما اطلق الكلام لامتناع الاطلاق في موضع التفصيل المحتاج اليه واجاب الاصفهاني في شرح المحصول عن هذا المبحث بانه صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون عالما بصورة الواقعة وانه تزوجهن معا ولاجل ذلك لم يستفصل فلا يكون ذلك كالعموم انتهى . ولايخفى ان عقد غيلان على عشر نسوة معا من غير ترتيب في غاية البعد على ان اطلاع النبيء صلى الله عليه وسلم على حاله لا يسوغ الاطلاق لايهامه حكما عاما بالنسبة الينا . واما الاعتصام بالسنة فاعلم اولا ان السنة لغة الطريقة ولو كانت غير مرضية وعرفا هي ما واظب عليه النبيء صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يقتدى به كالصحابة رضوان الله تعلى عليهم اجمعين لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وهي اعم من الحديث لتناولها الفعل والقول والتقرير بخلاف الحديث فانه لا يتناول الا القول وهو اقواها . ثم ان فعله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون شرعيا او جبليا او مترددا بين الجبلي والشرعي اما الجبلي كالقيام والقعود والاكل والشرب فالخلاف فيه بالاباحة والندب مشهور عند المحدثين لكن الذي في الاشارات للباجي ان الخلاف انما هو في صفة ذلك لا في اصل الفعل واما المتردد كالحج راكبا وكالضجعة بين ركعتي الفجر وركعتي الصبح المحتمل ذلك ان يكون للاستراحة أو التشريع فقد تردد فيه تاج الدين ابن السبكي واما الشرعي المحض ونعني به ما فعله النبيء صلى الله عليه وسلم على وجه القربة فهذا هو محل الخلاف المحكي في كتب الاصول المشهورة وارجح الاقوال فيه وهو مذهب مالك وبعض الشافعية الوجوب ومذهب الامام الشافعي الندب واتفقت جماهير الفقهاء والمعتزلة على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما فعله اذا علم وجهه على ذلك الوجه من الوجوب او الندب او الاباحة اذ لو خالفناه في النية لذهب الاتباع وذكروا لمعرفة الوجه طرقا منها وقوع التخيير بين ذلك الفعل وبين غيره مما علم حكمه فيسوى

به في ذلك الحكم فاذا خير بين ذلك الفعل وبين واجب علم ان حكمه الوجوب وهكذا في الندب والاباحة. فان قلت انه قد اختلف الحكم مع التخيير كما في حديث الاسراء فانه خير النبي صلى الله عليه وسلم بين قدحين احدهما لبن والآخر خمر واختار اللبن وقد قال له جبريل عليه السلام لو اخترت الخمر لغوت امتك فقد علم منه ان الخمر موجب الغواية واللبن موجب الهداية والاول منهي عنه والثاني مأمور به فقد اختلف الحكم حينئذ قلت الحكم الشرعي لم يختلف في القدحين بل كان واحدا وهو الاباحة غاية ما في الباب انه قد ربط باحدهما حسن العاقبة وبالآخر سوء العاقبة وذلك غير الاحكام الشرعية نعم لو قال جبريل لو اخترت الخمر لاثمت لاشكل اما العواقب فلا تناقض تقدم الاباحة وبالجملة لا منافات بين الاستواء في الحكم الشرعي والاختلاف في العاقبة ونظير هذا انه قد انعقد الاجماع على جواز بناء ما شئنا من الدور وشراء ما شئنا من الدواب وزواج ما شئنا من النساء ومع ذلك اذا عدل احدنا عن بعض افراد هاته المذكورات الى غيرها امكن ان يقول له صاحب الشرع لو اخترت تلك الدار التي عدلت عنها أو الدابة او المراة لكانت مشومة كما جاء في الحديث وان كان مختلفا في تاويله . واما تقريره صلى الله عليه وسلم على الفعل فيدل على جوازه للفاعل لانه لا يقر احدا من الناس على باطل وكذا لغيره خلافا للقاضي ابي بكر الباقلاني وحكى القاضي عياض الاجماع على ذلك وسواء في ذلك ما رآه عليه الصلاة والسلام فاقره او بلغه فلم يغيره وقيل التقرير يدل على الجواز الا في حق الكافر والمنافق فلا يدل تقريره له على جواز ذلك الفعل وبه قال امام الحرمين بناء على ان الكافر غير مكلف بالفروع والمنافق كافر في الباطن وقيل الا الكافر دون المنافق لان المنافق تجري عليه احكام المسلمين في الظاهر والاقوال الثلاثة حكاها المحلي . ثم ساق المصنف رحمه الله تعلى حديثا وجه مناسبته للترجمة ما اشتمل عليه من الآية الدالة على ان هاته الامة المحمدية معتصمون بالكتاب والسنة لان الله تعلى من عليهم باكمال الدين واتمام النعمة ورضي لهم الاسلام دينا وقد قدمه في كتاب الايمان لمناسبة اخرى فقال :

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن مسعر وغيره عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال رجل من اليهود « هو كعب الاحبار رضي الله عنه قبل ان يسلم كما عند الطبراني في الاوسط » لعمر « بن الخطاب رضي الله عنه » يا امير المؤمنين لو ان علينا « معشر اليهود » نزلت هذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال

عمر اني لاعلم اي يوم نزلت هذه الاية نزلت يوم عرفة في يوم جمعة سمع سفيان من مسعر ومسعر قيسا وقيس طارقا

الكلام على هذا الحديث من وجوه الوجه الاول صرح المؤلف رحمه الله تعلى بالسماع فيما عنعنه اولا اطلاعا منه على سماع كل راو من شيخه وتنصيصا منه على وصل السند اذ العنعنة وحدها

قد قيل انها لا تدل على الوصل بل هي محمولة على الانقطاع حتى يتبين الوصل بمجيئه في طريق ءاخر انه سمعه منه لان عن لا تشعر بشيء من انواع التحمل وان كان هذا القول في غاية الضعف حتى قال النووي رحمه الله تعلى هو مردود باجماع السلف وقيل انها محمولة على الوصل لكن مع شروط وقع الخلاف فيها بينهم على اقوال وقد اشار الى جملة الاقوال شيخ الاسلام العراقي في الفيته المسماة بالتبصرة والتذكرة فقال :

وصححوا وصل معنعن سلم　　من دلسة راويه واللقا علم
وبعضهم حكى بذا اجماعا　　ومسلم لم يشرط اجتماعا
لكن تعاصرا وقيل يشترط　　طول صحابة وبعضهم شرط
معرفة الراوي بالاخذ عنه　　وقيل كل ما آتانا منه
منقطع حتى يبين الوصل

واقتصر الحافظ ابن حجر في نخبة الفكر على قولين منها ونصه : وعنعنة المعاصر محمولة على السماع الا من المدلس ، وقيل يشترط ثبوت التقائهما ولو مرة وهو المختار ، الوجه الثاني ظاهر الآية يقتضي ان الدين الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم في غالب عمره ناقص لانها نزلت في ءاخر عمره صلى الله عليه وسلم وقد قيل انه لم يعمر بعدها الا واحدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما واجاب المفسرون عن هذا الاشكال باجوبة منها ما اشار اليه البيضاوي من ان المراد باكمال الدين ازالة الخوف عنهم واظهار القدرة على اعدائهم ومنها ان الاكمال انما هو بالنسبة الى ما يحتاجون اليه في تكاليفهم من تعليم الحلال والحرام وكلاهما عند الامام الرازي في تفسيره غير صحيح اما الاول فلانه يلزم عليه ان الدين كان من قبل قهرهم لاعدائهم ناقصا فيعود الاشكال وجوابه ان النقص انما يشكل لو كان نقصا قدريا اما ضعف اهل الدين عن قهر اعدائهم في صدر الاسلام واوله فهو واقع قطعا ولا يضر كما يشير اليه حديث بدىء هذا الدين غريبا وسيعود كما بدىء واما الثاني فلانه يلزم عليه انه لو لم يكمل الدين لهم قبل هذا اليوم لكانوا محتاجين اليه قبله فيلزم تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو لا يجوز وفيه نظر لانا نمنع ان يكون هذا منه بل هو من تاخير البيان الى وقت الحاجة في النسخ والاتفاق بين المعتزلة واهل السنة على جوازه في خصوص النسخ وهذا منه قطعا ففي هذا اليوم قد انزل الله شريعة كاملة وحكما متبعا الى يوم القيامة لا نسخ بعده ، سلمنا ان ما هنا ليس من النسخ فتاخير البيان الى وقت الحاجة ليس ممنوعا عند الكل بل انما نسبوا القول بالمنع للمعتزلة والجواز لاهل السنة ودليلنا على ذلك قول الله تعلى فاذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم ان علينا بيانه وكلمة ثم للتراخي وكذلك قوله تعلى في قصة بقرة بني اسراءيل انها بقرة لا فارض ، انها بقرة صفراء ، انها بقرة لا ذلول ، هو بيان لما امروا به من ذبح البقرة وهم لم يؤمروا الا ببقرة منكرة والمراد بها معينة فقد تاخر البيان فيها عن

وقت الخطاب بل وعن وقت الحاجة لانهم كانوا محتاجين لذبح تلك البقرة ليتبين امر القتيل وترفع الفتنة التي كانت بينهم والخصومات في امره على ان من جوز التكليف بما لا يطاق من العلماء وهو المعتمد جوز تاخير البيان عن وقت الحاجة ويدل لوقوعه ءاية البقرة المتقدمة كما علمت. الوجه الثالث مما فتح الله به على الفقير ان الاية الشريفة تضمنت تذكير نعم الله تعلى على الانسان بجميع انواعها الثلاثة الاتي تقريرها ومن ثم والله اعلم عبر باتمام النعمة وتقرير ذلك ان النعمة كما في احياء العلوم عبارة عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث الاختصاص والاشتراك على ثلاثة انواع. النوع الاول ما كان مختصا به لا يوجد في غيره من بقية الحيوانات وهي لذة العلم والحكمة وهي اشرف اللذات والنعم وان كانت اقلها وجودا اما بيان الاشرفية فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة بخلاف غيرها من اللذات ولانها لا تمل بخلاف غيرها من اللذات كالطعام والوقاع ولانها لا تحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف غيرها كالمال فان العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص به ولانها لذة على الاطلاق فان العلم نافع لذيذ جميل في كل حال ابدا بخلاف المال فانه تارة يجذب الى الهلاك ومن ثم ذم الله تعلى المال في مواضع من القرءان وان سماه خيرا في مواضع واما بيان الاقلية في الوجود فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة والاشارة الى هاته النعمة من الاية في قوله تعلى ورضيت لكم الاسلام دينا لان الاسلام كما قال البغوي لا يكون في محل الرضى الا بانضمام التصديق وهكذا اذا وقع في محل القبول نحو قوله تعلى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه. النوع الثاني ما كان مشتركا بين الانسان وبعض الحيوانات من النعم واللذات وهذه لذة القهر والاستيلاء فانها كما توجد في الانسان توجد في الاسد والنمر ونحوهما والاشارة الى هاته النعمة من الاية بقوله تعلى اليوم اكملت لكم دينكم على بعض التاويلات المتقدمة فيه. النوع الثالث ما كان مشتركا بين الانسان وجميع الحيوانات وهي لذة البطن والفرج وهي اكثر الانواع وجودا واخسها ومن ثم اشترك فيها جميع الحيوانات حتى الديدان والحشرات والاشارة الى هاته النعمة من الاية بقوله تعلى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم. احلت لكم الطيبات. وحينئذ فقد تمت نعم الله بجميع انواعها على هاتـه الامة المحمدية وقد كان هذا الاتمام في هذا اليوم الشريف فتاهل ان يتخـذ يوم عيد يعظم في كل عام كما اشار الى ذلك كعب الاحبار رضي الله عنه ووجب ان تقيد هاته النعم العظام بالشكر فان شكر النعم يورث بقاءها وبالعكس وفي الحكم من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها فمن فتح الله على بصيرته ونور قلبه وطهر سريرته رجع الى مولاه بملاطفات الاحسان والا قيد اليه بسلاسل الامتحان. فمن لم يعرف قدر النعم بوجدانها. عوقب بوجود فقدانها. اذ مراد الحق من عبده الرجوع اليه طوعا او كرها. والنعم والنقم جندان من جنود الله تعلى يحوش عباده بهما اليه. فان قلت اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في

مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر قلت قد سأل داود عليه السلام ربه عن ذلك فقال الاهي كيف اشكرك والشكر نعمة منك علي فاوحى الله تعلى اليه الآن شكرتني يا داود وقيل انه قال الاهي ابن ءادم ليس فيه شعرة الا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن اين يكافيها فقال له تعلى اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني فحاصله ان البلوغ الى ذلك ليس الا بمحض فضل الله تعلى ورحمته وقد اشار الى هذا محمود الوراق في البيتين اللذين اوردناهما سؤالا ومثلهما قول الاخر :

لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فلا حمد الا ان تمن بنعمة ... تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

الوجه الرابع في اعراب قوله لو ان علينا نزلت هذه الاية هو على منوال قوله تعلى ولو انهم ءامنوا وقول الشاعر (ولو انما اسعى لادنى معيشة) وهو كثير قال في الخلاصة (وهي بالاختصاص بالفعل كان❊ لكن لو ان بها قد تقترن) وموقع ان مع صلتها في مثل هذا التركيب عند الجميع رفع فقيل على الابتداء وقيل على الفاعلية وعلى الاول فقال سيبويه وجمهور البصريين لا حاجة الى الخبر لاشتمال الصلة على المسند والمسند اليه وقال غيره لا بد من تقديره فقيل يقدر مقدما وقيل مؤخرا على الاصل وتقدير ذلك في نحو الآية ولو ثابت ايمانهم وفي الحديث ولو ثابت انزالها والقول بانه فاعل عليه الزمخشري والكوفيون والمبرد والزجاج وقد قاله الجميع في ما وصلتها في قوله لا اكلمه ما ان في السماء نجما . لا يقال ان حديث الباب لا يحسن تخريجه على قول سيبويه المتقدم من عدم الاحتياج الى الخبر لتوجيهه الاستغناء عليه بالاشتمال على المسند والمسند عليه معا واين المسند اليه في هذا الحديث لانا نقول المسند اليه اما ضمير الشان المحذوف والفعل خبره او هو المسند اليه والخبر المجرور على اعتبار تجريده من الزمان وتقديره بالمصدر من غير اداة سبك وهذا وان نص عليه النحاة في الفعل المضارع في نحو تسمع بالمعيدي ونص عليه عبد الحكيم في الافعال الماضية الواقعة في التعاريف لكن الظاهر ان يجوز ايضا على قلة في غير ما ذكروا عند ظهور المعنى اذ لا مانع منه . الوجه الخامس ذكر الفقهاء في كتاب الحج انه يسن الجمع بين الظهرين مع القصر جمع تقديم في يوم عرفة وانه اذا وافق الجمعة فتصلى ظهرا والاشارة الى المسالة الاولى بقول خليل وجمع بين الظهرين اثر الزوال والى الثانية بقول ابن الحاجب والصلاة سرية ولو وقعت جمعة وقد حكى شارحه سيدي خليل في التوضيح مباحثة وقعت بين الامامين مالك وابي يوسف رحمهما الله بحضرة الرشيد في هاته المسالة وان الذي استقر عليه رايهما انها تصلى ظهرا بدليل انه عليه السلام وافق الجمعة بعرفة في حجة الوداع وصلى ركعتين لم يجهر فيهما وهذه قصة مشهورة وقد اعتنى بنقلها جماعة من العلماء منهم شهاب الدين القرافي ذكرها في الفرق الخامس والثمانين من فروقه وكل من هاتين المسالتين مشكل من جهة انه يتضمن ترك الواجب لغير ضرورة

وهو من تاخير صلاة العصر الى وقتها في المسالة الاولى وترك الجمعة في المسألة الثانية وفيه الاحتفاظ على المندوب واضاعة الواجب ولا يقدم مندوب على واجب لفضله عليه بصريح قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه والجواب عن ذلك كما في الفرق المذكور اما في المسالة الاولى فلا نسلم ان ترك تاخير الصلاة الى وقتها كان في ذلك اليوم لغير ضرورة بل هو لضرورة الحاج في ذلك اليوم العظيم للتفرغ للاقبال على الدعاء والابتهال والتقرب اللائق به اذ هو يوم لا يكاد يحصل في العمر الا مرة واحدة بعد اقتحام مشاق الاسفار وقطع البراري والقفار فكان هذا ضررا اوجب التقديم وتلاشت معه مصلحة وقت العصر واما في المسالة الثانية فلان ترك الجمعة في ذلك اليوم كان بموجب ان الغالب على الحجاج السفر والمسافر فرضه الظهر لا الجمعة وعلى هذا فلم يترك الواجب هذا بالنسبة الى الغالب وهم المسافرون واما المقيم بعرفة او من كان منزله قريبا منها فحكمه حكم الغالب بالتبع له وكلاهما جواب حسن واما ما اجاب به القرافي ثانيا في الفرق المذكور عن المسئلتين معا من ان القاعدة ان الاوامر تتبع المصالح الخالصة أو الراجحة والنواهي تتبع المفاسد الخالصة اوالراجحة وانه على مقدار مصلحة الفعل يكون ثوابه وحينئذ فما قدمه الشارع من المندوبات على الواجبات فنستدل به على ان مصلحة ذلك المندوب اكثر من مصلحة ذلك الواجب المتروك فهو جواب لا يصح من وجوه الوجه الاول أن مقتضى الملازمة بين مقداري المصلحة والثواب ان لا يكون مندوب اكثر مصلحة من واجب اصلا لتفضيل الواجب عليه مطلقا كما تقدم. الوجه الثاني ما ذكره محشيه ابو القاسم ابن الشاط من انه امر على خلاف ما ذكر وان المعروف ان المصالح تتبع الاوامر والمفاسد تتبع النواهي لا ما ذكره من العكس قال وبيان ذلك اما في المصالح والمفاسد الاخروية فالامر واضح اذ المصلحة هي المنفعة والمفسدة هي المضرة ولا منفعة اعظم من النعيم المقيم ولا ضرر اعظم من العذاب المقيم واما في المصالح والمفاسد الدنيوية فيشهد لذلك دلائل من الظواهر الشرعية من ذلك قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ومنها قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. الوجه الثالث وهو مسك ختامها هو أن ما ذكره غير مطرد في جميع الاعمال فانا نجد كما قال القرافي نفسه في الفرق الذي بعده استواء العملين في المصلحة من كل وجه ومع ذلك يحكم الشارع بتفضيل احدهما على الآخر وذلك كتكبيرة الاحرام بالنسبة الى غيرها من سائر التكبيرات بل قد وجدنا اختلاف العملين في المصلحة ومع ذلك حكم الشارع بتفضيل الاقل منهما على الاكثر كتفضيل القصر على الاتمام وحينئذ فلا غنى عن الرجوع الى محض المشيئة والامتنان كما جاء ان بعض الاذكار مع خفته على اللسان وقلت تعبه يملا الميزان في حديث كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم انتهى . جمعه في ءاخر رمضان عام ثلاثة وسبعين ومائتين والف فقير ربه صالح النيفر كان الله له بمنه ءامين .

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

١١

خطر اللادينية على الاسلام

ليست اللادينية من مبتكرات مصطفى أتاتورك وانما هو مقلد لمن تقدمه وان خطرها لاعظم الاخطار التي منيت بها هذه الامة منذ زمن البعثة النبوية الى الآن.

فان اللادينية تقلب حياة الامة المتدينة راسا على عقب فتفسد الافكار والاخلاق وتنتشر بها الموبقات والفواحش وتفقد الثقة بين وحدات الامة وتذهب الاعراض ضحية الاباحة الوقحة. وتفسد المعاملات وتضيع الاداب العائلية واصول التربية الاسلامية المبنية على اسس النزاهة والحشمة. ويضمحل كل اصل بنيت عليه حياتنا وينقلب علمنا جهلا وجدنا هزلا ونصير أضحوكة بين الامم. وما دخلت في دماغ امة الا ودخلتها الفوضى والثورات وإباحة الدماء فالموت الزؤام أهون تجرعا من تجرع سموم اللادينية المخربة . نعوذ بالله من جهد بلائها . وظلمة عمائها .

ولنختصر لكم في بيان سبب انتشارها فأقول :

ان الخليفة عبد الحميد الثاني العثماني كانت له حمية اسلامية فيما هو مشهور عنه ، غير انه ارتكب خطأ عظيما كان سببا لانتشار اللادينية (الالحاد) في الممالك الاسلامية التي لنظره ومنها سرى لغيرها سريعا

ذلك انه اراد إدخال النظم العصرية والمعارف الحديثة لمملكته ، فبعث بعثات من الشباب الاسلامي لتلقي العلوم العصرية في ممالك اروبا المختلفة المشارب والمذاهب : فرانسا ، ابريطانيا ، المانيا ، ايطاليا وغيرها : كان الواجب على عبد الحميد حامي الدين ان يقدم تهذيب تلك البعثات تهذيبا صحيحا اسلاميا قبل ارسالها الى دار المنازع والمذاهب - كما فعل محمد علي باشا مصر قبله - حيث اختار بعثاته من تلاميذ الازهر الانجاب المهذبين الثابت ثباتهم على عقائد الدين كالطهطاوي والرشيدي وغيرهما لكن عبد الحميد غلط غلطا فادحا فوجه شبيبة لم يتمكن التهذيب الاسلامي من اعماق قلوبها ، ولا رسخت ملكته في افئدتها ، فاختلطت بشبيبة مختلفة الميول والمعتقدات شبيبة

لم يتمكن التهذيب الاسلامي من اعماق قلوبهما . ولا رسخت ملكته في افئدتها . فاختلطت بشبيبة مختلفة الميول والمعتقدات شبيبة اروبية لادينية او متدينة بالكاطوليكية واخرى بالبروتستانية فصادف منها قلبا خاليا - افرغ من طنبور - من كل تهذيب وايمان . فاصطبغت قلوبها بصبغات غيرت لون الاسلام النقي فتمكنت منها معتقدات غير عقائد الاسلام . واصبحت لها ميول سياسية جمهورية وفاشيستية وفوضوية وبلشفية وغيرها . خلاف الميول التي ببلادها ، بل كل من تعلم في مملكة جاء بافكارها ومذاهبها السياسية ؛ زيادة على المذاهب الدينية فتبلبلت المذاهب وكثرت النزعات كما تبلبلت الالسن واللغات . وحصل الخلاف وتنوع الشقاق بعد الاتفاق ومن اقبح ما جاءوا به في تحفة القدوم الالحاد العظيم ، واللادينية الوقحة . القاضية على كل خير وكل فضيلة وتهذيب .

ومن اسباب عظم المصيبة ان عبد الحميد ما كان يفكر هو ولا من قبله في ترقية الصناعة ولا الزراعة ولا كنوز المعادن ولا تحسين التجارة والعمارة . وانما همهم الوحيد العسكرية مكروب سرى في عروقهم من ءابائهم الذين كانوا امة جلد وجند وتغلب وقهر وحرب .

فكانت اكثر البعثات عسكرية فاصبحت تنشر افكارها بين الجنود . وصيروا الجند ءالة صماء في يدهم فبعد ما تخلصت تركيا من فساد جند الانكشارية اصبحت تعاني ويلات الجند النظامي المتفرنج . وكان هذا البلاء اشد لان الضربة قاسية في صميم الدين .

فبعد ما كان العالم الاسلامي يعلق كل ءاماله على هذا الجند المنظم ليكون حصنا منيعا للدولة الاسلامية ومعقلا للخلافة اصبح بالعكس ءالة هدم للخلافة ونشر افكارا تعفي اثر الاسلام في الشرق والغرب وهذا الجند هو الذي انزل عبد الحميد عن كرسي الاسلام ثم بعده اذهب الخلافة وصارت في خبر كان .

وهذه البعثات هي التي نشرت افكار القومية الضيقة فحرضت الترك على تتريك العرب وبقية الشعوب المنضوية تحت لواء الخلافة العثمانية اي تصيرهم تركا لغة وجنسية رغما عن تمسك الشعوب بلغتهم وقوميتهم . وما كان الخلفاء العثمانيون . يفكرون مثل هذا التفكير المفكك لعرى الخلافة بل كان الخلفاء متمسكين بالدين يحمونه وينصرونه ويعظمون القرءان والعربية والنبي العربي وءاثار العرب كما انهم يحترمون لغات بقية عناصر الخلافة العثمانية .

وعلى الاقل كانوا يحاملون الشعوب الضعيفة التي تركبت منها الخلافة ولا يمسونهم في لغة ولا عادة ولا دين وبهذا بقيت الخلافة في عقب الاتراك اكثر من ستمائة سنة مدة لم تتمتع بها دولة قبلهم رغما عن تقصيرها في نشر التعليم الذي هو حياة الامم .

ومن هذا الجند تكونت جمعية الاتحاد والترقي او الالحاد والتدلي وهي التي جاءت بمبدإ القومية التركية والتفوق الجنسي المنافي للاسلام والتي صارحت تلك الشعوب بوجوب تتريكها وابدال لغتها والانسلاخ من قوميتها ومقوماتها . فاغضبت عناصر الخلافة وملأت القلوب غيظا وإحنة . العراق . والشام . واليمن . ومصر . والجزيرة العربية . وغيرها .

فلما جاءت الحرب العظمى وظهر الوهن على جيوش الدولة انفرط عقد الخلافة واصبحت كل امة ولا سيما العرب تجاهر الاتراك بالعداء . ولعلها محقة فيما فعلت ، وقد نصب الترك المشنقة للعرب وقتلوهم تقتيلا ، فلم يزدهم ذلك الا تمسكا بلغتهم وقوميتهم بل زادهم ذلك تحمسا وصلابة ضد قومية الترك وكان سببا في ضياع مجد الترك وتحرير العرب واستقلالهم .

ولعلنا كنا مخطيئن في تخطئة الامة العربية في انفصالها عن الترك ولعلها هي التي قد صادفت الصواب فيما فعلت .

اذ لو بقيت خاضعة للترك لبقيت متاخرة وتحت التسلط التركي الى الابد .

ولكنها الان تنال مرغوبها شيئا فشيئا ولا تبذل فيه الا اقل القليل مما تبذله لو بقيت راضية بالخسف والذل التركي .

وبالجملة هذه تجربة سلكتها تركيا في تتريك العرب فباءت بخسران عظيم لم تشهده في تاريخها ، وها هي في هذا العصر تجرب تجربة اخرى بيد مصطفى كمال وهي تأورب الترك اي تصييرهم اروبيين في كل شيء حتى في الدين كاحكام الزواج والطلاق والسفور والارث وحتى في اللباس والقبعة والعوائد بل وحروف الكتابة ، واخاف ان تكون العاقبة خسارة وافلاس هذه التجربة ولكننا ننتظر اللعبة الاخيرة ولله عاقبة الامور .

واسال الله ان يهدي اخواننا الاتراك لما فيه صلاحهم حالا ومئالا وان يسلك بنا وبهم مسالك النجاة وان يقيهم شر الفتن والثورات

هذا وان افكار اللادينية لم تبق مقصورة على ضباط الجيش العثماني بل سرت سريان النار في الهشيم في سائر شبيبة بلاد الاسلام شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا سيما الشبيبة التي تتلقى دروسا في اروبا قبل الدروس الدينية .

ومن العجب انها افكار سرت الى بعض تلاميذ المعاهد الدينية الشهيرة والتي هي المعدة للدفع في نحر اللادينية مثل الازهر والزيتونة والقرويين ولكنا نحمد الله على ندرة ذلك ونسال الله ان يوفق رجال هذه المعاهد لخنق هذه الحركة في مهدها قبل استفحالها بطرق مجدية .

وقد علمت ان السبب الاقوى في ذلك هو اهمال التربية في الصغر واغفال تعليم مبادي الاسلام الحقة بكيفية ناضجه سهلة ومفيدة وواضحة غير ملتوية وخالية من الفلسفة اللفظية والقشور التي توصلا الى نتيجة ونبذ الخيال نبذا كليا .

فقطع العلاقة بين الشبيبة الاسلامية وبين اصول التربية الاسلامية الحقة السلفية القرءانية والسيرة النبوية وتاريخ الاسلام الزاهر هو الذي اوجب هذه الحالة الاسيفة ، حتى صارت بلاد الاسلام تخرج مثل كتاب مصطفى كمال .

ومن موجبات الاسف الشديد : ان بعض من ينظر في شيء من كتب الاسلام من هذه الشبيبة قبل ان يتذوقها يصبح من دعاة الطريقة الوهابية وهو لم يعرف هذه الطريقة ايضا حق المعرفة . فاول ما يبدؤ به تكفير اخوانه المؤمنين بانهم طرقيون يعبدون الاصنام حيث عظموا الموتى وايجاب هدم المساجد المبنية عليها ثم يتدرجون الى ما لا تقره وهابية ولا غيرها من طوائف الاسلام وهو سب نفس الموتى من السلف من علماء وايمة كبار ثم الى سب الصحابة وتجريحهم ومن هناك الى هدم اساس الدين بالطعن في النبوات ، فتنقلب الوهابية لادينية ، وتذهب الفضيلة وتاتي الرذيلة .

ثم ياتون بما يناقض تشدقهم فيوجبون تشييد الابنية الفخمة على قبر امثال المعري وينصبون التماثيل في الميادين لمثل مصطفى كمال ويقفون امامها مطاطئي الرؤس وذلك هو عبادة الاوثان الخبيثة سموها بذلك او وضعوا لها لقبا اخر مزخرفا فيضعون في اقبح خزي ووبال . ويعبدون الاصنام باهتبال

فهدمهم لقبور من بنى مجد الاسلام وأفنى عمره فيه وقاسى الاهوال في نشره هو هدم لمجدهم الحقيقي وتاريخهم الذي يرجعون اليه وينبغي ان يكون قدوة لهم فيما يزعمون من التجديد وتشييدهم لغيره هو بلا شك من التمسك بالخيال الذي لا نجاة معه من النكال . واسال الله ان يلهمهم ويلهم خصومهم طريق الاعتدال ويجعلنا جميعا ممن عض بالنواجذ على وصاية القرءان (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ءامين والحمد لله رب العالمين

محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري

الامة الاسلامية تنشد الاصلاح

(بقية الصفحة عدد ٢٦٠)

وهذا في الحقيقة نظر قاصر منشأه عدم فهم ما يعنيه المصلحون من قولهم ان من العلل التي اصابت المسلمين انحرافهم عن تعاليم الاسلام فهم يقصدون بذلك كل ما تدل عليه هذه الجملة من المعاني .

فالاسلام يدعو الى عبادة الله وتقواه ومتى كان المسلم عابدا تقيا صفت نفسه وتأهلت لكل الفضائل .

والاسلام يدعو الى الاخلاق الحميدة والصفات الكاملة ومتى كان المسلم متخلقا بآداب الاسلام صفت سريرته وحسنت سيرته وسلم من تأثيرات النفس الامارة بالسوء فأمن الناس من شروره وعاشر الناس بالمعروف وكان مثال الكمال الانساني

والاسلام أحاط طرق المعاشرة بسياج المروءة والعدالة فمتى راعى المسلم الحدود التي حدد بها الشرع الاسلامي طرق المعاشرة والمعاملات الخاصة والعامة سلمت العائلة الاسلامية من الفوضى وخلصت الهيئة الاجتماعية من العطب

والاسلام دعى الى الوحدة والاخاء والعزة ومهد الى ذلك السبل فمتى روض المسلم نفسه على التضحية والقيام بالواجب وأحس بانه عضو رئيسي في جسم الامة به عزها أو انحطاطها وفي سلامته سلامتها أمكن للامة أن تعتمد على بعضها وتسير متكاتفة متراصة الصفوف الى الغاية التي فيها عزها وحياتها .

والاسلام يدعو للاخذ بأسباب العمران فمتى ضرب المسلمون بسهم صائب في سائر العلوم وتعمقوا فيها أمكن لهم أن ينالوا حظهم في هذه الحياة غير منقوص منه ولا مشوها كما ناله أسلافهم الصالحون وكما وعدهم به الله

والاسلام يأمر بنبذ العادات الفاسدة والاعتقادات التي لا تلائم قواعد الدين الحنيف فمتى أزاح المسلمون عن نفوسهم تلك الوساوس والخرافات التي تعلق بعقول الناس ولم يستسلموا لتأثير العادات المقوتة ولم يتركوها تسيطر على نفوسهم ولم يجعلوا للمشعوذين الضالين سلطانا عليهم سلمت عقولهم وحواسهم وتأهلت بصفائها للاخذ باسباب السعادة

هذا بعض ما يعني من تلك الكلمة الجامعة التي عدها المصلحون احدى الادوية التي يجب أن تعالج بها أمراضنا . وأعتقد ان الوقوف على موضع العلة ووصف الدواء الذي يزيلها لا يوصلان الى نقاوة الجسم الا اذا اعتمدنا على امرين لهما خطرهما الاول حسن المعالجة وذلك بمعرفة طرق العلاج . والثاني استعداد الامة للقبول وانقيادها لذلك وبدون هذين الامرين لا يتم شيء . وهذا هو الذي يجب ان نهتم به اهتماما شديدا « للبحث بقية »

محمد الشاذلي ابن القاضي

الملاجئ الخيرية الاسلامية

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحي الكتاني دام نفعه

حفظ التاريخ من مستشفيات فاس المذكورة على كثرتها هذا المستشفى الكبير المعروف الآن بالمارستان فهو الاثر الخالد الباقي الدال على اعتناء الدولة المرينية بالمتوهين والضعفاء والمساكين ومن لا مأوى لهم ولا ملجأ وهذا المستشفى لا اظن انه يوجد باوربا على كثرة مستشفياتها مستشفى يضارعه في القدم ومن العجيب احتفاظ هذا المستشفى بمركزه رغما عن كثرة الحروب والفتن والاهوال التي توالت على فاس في هذه القرون السبعة التي مضت عليه ويذكر الشيخ بناني في حواشي الزرقاني كما علمت مما سبق انه كان يكفن فيه الغرباء ويغسلون يعني من اوقافه ويذكر الوزان كما علمت انه كان الغريب الافاقي الذي يدخل الى فاس له ان يقيم به ثلاثة ايام فكان هو على هذا بمنزلة فندق ينزلها السفر (اوتيلات) ويذكر الوزان في محل ءاخر انه كان يقوم به الشعراء اصحاب ما يسمى اليوم بالملحون يجرون عوائدهم ليلة المولد النبوي من انشاء المدايح النبوية بمحل مخصوص هناك وهذه العادة وقع الاحتفاظ بها الى وقتنا فيقوم حافظ من حفاظ الشعر الملحون في المولد وعاشوراء ويتلو ملحونه ويحلق عليه الناس وذلك تحت شجرة توتة هناك وكان يعد ايضا ملجأ للقلاق (بلارج) الطير المعروف من تكسر او اصيب منه يـاوي اليه وتجري جراية لمن يضمده ويداويه ويطعمه. وكان به وقف على الموسيقيين الذين يضربون به النوبة على المتوهين لما ذكره ابن سينا وغيره من الاطباء ان من النوبات العصبية ما يداوى بالنغمات والاوتار على حالة تسلية. ومن العادة انزال المغتسلات والمحافل الخشبية لغسل الاموات من المسلمين وحملهم الى مدافنهم تصنع اذا مات غني من ماله ثم توضع في المارستان المذكور يحمل عليها الفقراء مجانا وكثير من الناس كانوا يستخبرون عمن مات في فاس بتفقد هذه المغاسل صباحا في المارستان ومن الاموال الموقوفة عليه يجري تجهيز الضعفاء والغرباء الذين يموتون بفاس كما ان لهم مدفنا مخصوصا بهم خارج باب الفتوح يعرف بفدان الغرباء ومما كان يوضع بالمستشفى المذكور طبل ركب الحاج وهو طبل عظيم من نحاس كان امير ركب الحاج يستصحبه معه يضرب فيه وقت نهوض الركب ووقت جلوسه ضربة الاعلام بالتهيىء للنهوض فكان بالمارستان المذكور يوضع الطبل المذكور حيث انه من الاحباس العامة. وكان بجانب المارستان المذكور قديما محكمة المحتسب بها موضوعة كتب الحسبة وءالة الجزر والتعزير يجلس فيها المحتسب

وكتابه واعوانه لاجراء اعمال وظيفه الذي كان أكبر وظيف يذكر في الخطط الشرعية لان غايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه مادة واسعة لا نهاية لها ولا حصر فكان للمحتسب السلطة التامة حتى على دور الخلفاء والملوك ويراقب وقت جلوس القاضي وانتهاء عمله وسيره في محكمته وهكذا مما له كتب مخصوصة واشغال وسلطة واسعة وكان قصدهم بجلوس المحتسب بجوار المارستان ووضع المارستان بجوار العطارين والقيسارية والضريح الادريسي وعلى قرب من القرويين التسهيل على اهل البلد نساء ورجالا وصبيانا في تناول حاجياتهم والوقوف على مرضاهم وتسهيل توصل مرضاهم بالطعام والشراب على اقرب حال فتخرج لذلك حتى العواتق والمخدرات بين الدور والرحاب والمساجد فلو وضع المارستان المذكور ابعد من هــذا الموضع لضاعت خطوات المخدرات والمحتجبات ووقعوا فيما لا يرضي المجتمع الاسلامي وعوائده الموروثة في القديم والى زماننا هذا يعد سجنا للنساء وملجأ للقطاء والافارير الصغار حتى يبحث عنهم اهلهم ويقفوا عليهم فلذلك نرى ان العناية التي تريد الحكومة صرفها الى هذا الملجأ الخيري من اعظم ما يخلد لها به الفخر الدائم الذي لا يبلى ولا يبيد سيما وهي تريد الاحتفاظ بشكله وموقعه واوقافه وتدخل عليه من التحسينات العصرية مـا يناسب روح العصر ولاشك ان توسعته واضافة بعض الدور والحوانيت اليه وجعل حديقة به لترويح المعتوهين وتنشيط المساكين كل ذلك مما تشكر عليه الحكومة وتتحاشى نقله من محله الى خارج المدينة لئلا يكون ذريعة للقضاء على معهد خيري قديم لا مثيل له في القدم في العالم . ومن الملاجيء الخيرية التي كانت ولا زالت بفاس ضريح الشيخ ابي غالب الصاريوي بصاريوة من فاس وابو غالب هذا هو الشيخ ابو الحسن علي بن ابي غالب الحسني الادريسي الصاريوي اليازغي من اهل المائة الثامنة وكان يعد من حكماء فاس وجراحيها علمته اولا امه وهو صغير صنعة الحجامة وعلاج الجراح والقروح ثم اخذ عن بعض المماليك من الاعلاج الذين كانوا يحترفون بتلك الصنعة واخذ عنه هو جماعـة منهم الحاج حم الورشي قيل مولاهم وهو جد اولاد ابن حم الخراط ومن هناك صار الشيخ المذكور وضريحه ملجأ ومأوى لاصحاب العاهات والامراض . وفي القرن الماضي جدد بناء هذا الضريح السلطان المعظم ابو الربيع المولى سليمان بن السلطان ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله العلوي المتوفى سنـة ١٢٢٨ وجعل فيه مسجدا للصلاة وبيوتا للمرضى وذوي العاهات الذين ياتون اليه وقام بنصب سقاية ماء بظهره وذلك على يد قائد فاس الحاج محمد الصفار . ومن الملاجيء الخيرية التي كانت بفاس على عهد بني مرين دار بدرب السعود كانت موقوفـة على سكنى الضعفاء والمساكين ذكرهـا القادري في النشر الكبير في ترجمة الشريف محمد بن العربي بوطالب الجوطي انظر قصتها فيه ودار درب السعود هـذه كانت من اكبر دور فاس ضخامة وسعة رحاب وكثرة مياه وبها عرف الدرب والنسبة الى احد وزرائهم . ومن الملاجيء الخيرية بفاس على عهدهم بلاد كانت محبسة على شراء الحبوب لترمى للطيور قوتـا يلتقطونه

في كل يوم بباب الحمراء. ومنها عرصة بباب بني مسافر موقوفة على الضعفاء والمساكين يعرسون فيها. ومن الملاجيء الخيرية التي كانت بفاس على عهد بني مرين دار يعرس فيها العمي فكلما تزوج اعمى بعمياء ممن لا سكنى لهم عرسا بها ثم سكنا وهي معروفة الآن بين الصاغة ورحبة قش وتعرف بدار الشيوخ برياض جحا. ومن الملاجيء الخيرية التي كانت بفاس دار لتعريس الشرفاء المقلين فاذا تزوج شريف بشريفة لا سكن لهما عرسا بهذه الدار وهي ذات مرافق ومنظر وبهاء وهي بوسعة العيون الى الآن ومن الملاجيء الخيرية بفاس حانوت بجهة بوطويل قرب القرويين اوقفت ليصرف كراؤها في شراء اواني الفخار تعطى للصبيان الصغار اذا خرجوا من مدارسهم الصناعية (درازات) باواني طعامية فتكسرت لهم في الطريق فاذا استحى الصبي من معلمه ذهب للمكلف فاخذ ءانية جديدة بدل التي تكسرت له. ومن الملاجيء الخيرية بفاس ما ذكره الشيخ ميارة والشيخ التاودي بن سودة كلاهما في شرح التحفة والبليدي في حواشيه على الزرقاني والدسوقي في حواشيه على الدردير انه كان بقيسارية فاس حانوت (كبنك) بها دراهم موقوفة للسلف فما زالوا يتسلمونها ويردون فيها النقص والنحاس حتى اندرست وهذا من اعظم ما يدلنا على الرقي الفكري والعاطفة الانسانية والدينية في الزمن السابق وكيف كان عملهم على تنشيط الصانع والتاجر وكيف كانوا يمدون لذوي الحاجات يد المعونة ويرصدون الارصادات فهذا لاشك مما سبقنا به اوربا بقرون ولله في خلقه شئون ومن نحو هذا ما في ترجمة ابي عبد الله محمد البطيوي من اهل القرن ١٢ من سلوك الطريق الوارية للزبادي من انه كان يبدل الدراهم بالفلوس ويصبح بها كل يوم بسوق الغزل من فاس ومن اراد تصريف درهم صرفه له فهذا منه تسهيل على المرأة والصبي طريق الاخذ والرد في المبيعات جزاه الله خيرا على نيته ومن المراكز الخيرية بفاس ونواحيها على عهد بني مرين ما وقع في ترجمة العارف الكبير احد مفاخر فاس ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن عباد النفزي المتوفى عام ٧٩٢ وهو الذي قال فيه في نفح الطيب انه عند اهل فاس بمثابة الشافعي عند اهل مصر انه اوصى بربعة كانت محفوظة عند رأسه ان يخرج ما فيها بعد موته ويشترى بها ربع يكون حبسا على مسجد القرويين ففعل ذلك فحسب ما فيها فاذا هو ثمان عشرة مائة مثقال من الذهب وذلك جملة ما قبضه في اجرته مدة خطابته وامامته بالقرويين وحكي ان الربع المشترى هو حمام القلعة بعدوة فاس القرويين بالقطانين منها قال في نشر المثاني ومن عجائبه انه يقصده اهل المرض المعروف بالحب وهو المعروف بحب الافرنج الذي هو من الامراض الشاقة يغسلون به للاستشفاء فيشفون واعجب منه ان لا يتأذى به من غسل معهم من السالمين ولم يسمع ان احدا غسل به اعداه شيء استقرئ ذلك منه ازمنة طائلة حتى صار لا يتجنبه احد اه ولا غرابة في هذا ولا عجب فان فاسا فيها وبدائرتها من الينابيع ما لا يوجد حول مدينة اخرى في العالم وذلك ان منشىء المدينة الاسلامية في المغرب الامام الاكبر المولى حسين ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما اراد بناء عاصمة بالمغرب باسمه طاف حول درن الى تادلا ينظر محلا مناسبا لاتخاذه عاصمة جامعة بين ما يكون مصحة للابدان وعونا على اقامة دين الملك الديان ويتخذ دائرة لدولاب العمران فاختار موقع مدينة فاس لغايات لا يتوخاها ويقصدها الا عظيم من حكماء البشر ومصلح كبير من رجال العمران والغيرة على صحة بني الانسان وتسهيل الحالة الاجتماعية للسكان (يتبع)

صفحة من تاريخ تونس

القضاء الشرعي

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة

قلنا في المقالة الثانية من هذا المبحث ان سفينة الدهر تجري في بحار المشيئة وان انحصار سلطة القاضي الشرعي في نوازل الاستحقاق بين الرعايا وفي احكام الاحوال الشخصية من انكحة ومواريث وشبه ذلك انما هو ثمرة تطورات وفيرة في احيال كثيرة وحسب الانسان الخبير بتقلبات الزمان ان لا يستنتج من ذلك اكثر من العبرة التاريخية التي يجد لها نظائر واشباها كثيرة في بطون الدفاتر والكتب ففي عهد انحطاط الدولة العباسية كان القضاء يعطى التزاما بالمقاولة (بالسوق والدلال) على ان يستبد القاضي بفروض التعيين ونحوها في مقابلة مال سنوي يدفعه للحاكم وأول من التزمه عبد الله بن الحسين بن ابي الشوارب في بغداد سنة ٣٥٠ بمقدار مائتي الف درهم وكان ذلك مبدا السعي في طرق استنزاف اموال الخصوم وارزاق اليتامى ومن اجل ذلك وشبهه احدثوا ديوان المظالم للنظر في ظلامات الناس من اعتداء العمال والقضاة وكان اول ظهوره بالدولة الفاطمية بمصر — والحديث هنا قاصر على رجال الشرع المطهر بهذه الديار التونسية المختارة في هذا الزمان وهم بفضل صبغتهم الدينية المستمدة في اصلها من الانتساب لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم احرزوا بحق وجدارة على منزلة محاطة بسياج المهابة والاجلال في نظر عامة المسلمين وهذه الحيثية الدينية الشريفة نراها نضجت واخذت نصابها من الرسوخ في الاذهان بفضل ما توفق له علماء العصور الماضية من مظاهر التقوى والانقطاع للجناب الاقدس والسير على سنن من سلفهم من ائمة الدين واقطاب الملة بهذه الديار وما زالوا بفضل الله وتوفيقه اخذين بذلك طبقة بعد طبقة الى هذا الزمان فالفقيه المتوفرة فيه تلك الصفات صفات التقوى والعلم والعمل حق علينا ان نرعى له الذمام وان نستمد من انوار فضله وان نسعى اليه بتحية طيبة وسلام

ولننتقل الآن للتعريف بمنصب شيخ الاسلام بتونس فهذا اللقب الطنان العالي كان في البدء نعتا لمن ينتهي اليه العلم بين اهل عصره فالامام احمد بن تيميه كانوا يلقبونه بشيخ الاسلام في المائة السابعة وكثير غيره من ائمة الدين قبله وبعده . ويلوح ان ظهور الالقاب التفخيمية في الاسلام كان بظهور السلطة الفارسية في جسم الخلافة العباسية واول بارقة ظهرت من ذلك التلقيب بمثل جلال الدين وشمس الدين وشهاب الدين في اهل العلم وعضد الدولة ونظام الملك ويمين الدولة في رجال السياسة حتى اذا استقرت الخلافة في ءال عثمان اتخذوا لهم شيخا للاسلام بالعنوان الرسمي له حق الاشراف على دواليب النظام الشرعي

باجمعه كما سياتي بيانه وبالتالي راج استعمال لقب شيخ الاسلام بتونس بعد دخولها في طاعة ءال عثمان فكانوا في سنة ١١٣٣ يلقبون الفقيه الشيخ علي الصوفي من ائمة الحنفية بشيخ الاسلام ولم يكن لهم يومئذ بتونس غير مفتيين وقضاة بل كانوا يلقبون به في وقت واحد ثلاثة نفر آخرين من العلماء بلقب شيخ الاسلام. سأل بعض علماء الازهر صاحب مجلة المنار ايام كان يشارك في تحريرها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عن تاريخ منصب شيخ الاسلام فاجابه بما ياتي : هذا اللقب من الالقاب الحادثة لمنصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة العثمانية الفتوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة واحد اعضاء مجلس الوزراء وقد وضع الملوك هذا المنصب بعد ما صارت امور المسلمين في ايدي الجاهلين بالشرع من السلاطين واعوانهم الوزراء فمن دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للامة لا سيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع في كثير من احكامهم وكان اختراع هذا اللقب في اوائل القرن التاسع زمن السلطان مراد خان الثاني الذي ولي السلطنة في الثامنة عشر من عمره وقد وليه في زمنه محمد شمس الدين سنة ٨٢٨ وفخر الدين العجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذي يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان . هذا هو اللقب الرسمي والعلماء كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفقه الدين كابن تيمية والعز بن عبد السلام ويطلقونه في مصر على شيخ الجامع الازهر اه .

اما في تونس فقد اشتهر لقب شيخ الاسلام بها بعد سفر الشيخ علي الصوفي للاستانة في مامورية رسمية وعودته منها لهذه الديار فكان اهل العلم يطلقون هذا اللقب على من ينفرد بالتفوق بينهم من شيوخهم سواء كان حنفيا او مالكيا ولكن ذلك لم يكن نعتا رسميا لهم في نظام الدولة بل كانوا في الرسميات يلقبون كبير المفتين تارة بالمفتي الاول وءاونة بالمفتي الاكبر الى ان استقر عنوانه الرسمي في لقب الباش مفتي ومعنى « باش » في التركية « راس » فالباش مفتي معناه راس الفتوى او راس المفتين وهكذا استرسل الامر الى دولة المشير احمد باي الاول ولما عاد في سنة ١٢٦٣ من رحلته لفرنسا بعد ان شاهد هنالك فخامة الملك وقوة السلطان حدثته نفسه بما طبع عليه من الجنوح للتعالي والتفنن في مذاهبه ان يجاري السلاطين والملوك بالابنية المشمخرة كقصور المحمدية وبالمظاهر السلطانية في نظام الدولة فوضع ترتيبا لنيشان الافتخار الذي ابتكره ابوه وهذب اساليبه واحدث رتبة الفاريق في الجيش متخطيا في ذلك الحد المضروب له في الولايات العسكرية من لدن الباب العالي كما انجز ما كان عزم عليه من قبل بسنوات (١) من امناح لقب شيخ اسلام بالعنوان الرسمي لرئيس فقهاء الحنفية ولقب به باش مفتي الحنفية العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع ولكنه اكتفى بامناحه هذا اللقب العلمي

(١) ورد في ظهير عتق العبيد الصادر في محرم ١٢٦٢ تلقيب الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ ابراهيم الرياحي بباش مفتي المالكية

الدني بالقول الذكري لا بالقول الكتابي تحاشيا من مزاحمة الباب العالي في خطة من الخطط الرئيسية بالدولة العثمانية وبمقتضاه استمر اصدار مرسوم الولاية للباش مفتي الحنفي بعنوان كبير المفتين الحنفي ولكنهم كانوا يحلونه وينعتونه في غير مرسوم الولاية بشيخ الاسلام (١) ويلوح ان اول من امتاز بلقب شيخ الاسلام بعنوان خطة في مرسوم ولايته هو العلامة الشيخ احمد ابن الخوجه حسبما يستفاد ذلك من هذه العبارة المدرجة بالقسم الرسمي من الرائد التونسي . قال في عدد ٩ المؤرخ في ٢٩ صفر ١٢٩٤

في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين من شهر التاريخ اولى المعظم الارفع مولانا وسيدنا ادام الله عزه الفاضل الهمام واحد علماء الاسلام الجهبذ الشيخ سيدي احمد بن الخوجه مشيخة الاسلام بتونس وذلك بالقصر السعيد جعلها الله ولاية سعيدة ميمونة حميدة اه.

وهذا الشيخ رحمه الله هو الذي البس في العهود المتاخرة خطة المشيخة ثوب الاجلال والاعظام وكساها حلة الفخر والاكرام ولما التحق بالدار الآخرة في خامس حجه سنة ١٣١٣ تقدم مكانه العلامة الشيخ احمد كريم فكان ظهير ولايته صريحا بعنوان شيخ الاسلام ننقل هنا عبارته بالوقوف عليه :

سبحان من جعل الحمد فاتحة القرءان . وخاتمة دعاء اهل الجنان . وشرف نوع الانسان بارسال الرسل . لتشريع الشرائع وتوضيح السبل . نشكرك على ما اوليت من مواهب الاحسان . حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان القلب واللسان . والصلاة والسلام على سيدنا محمد فائدة الكون ومعناه . الذي لا ينام قلبه اذا نامت عيناه . وعلى ءاله واصحابه حفظة الدين وائمة المهتدين . اما بعد فهذا ظهير عظيم . وكتاب كريم . يقابل بالاذعان والتسليم . لنفعه العميم . انتج الحق قياسه . وبني على الشرع اساسه . اصدرناه الى من يقف عليه من العلماء الاعلام . مشائخ الاسلام . وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء وامراء الالوية وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والبنباشية وكافة الجنود العسكرية وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات . شرح الله تعلى للحق صدورهم . واستعمل في رضاه اميرهم ومامورهم . ليعلموا ان الهمام النحرير العالم العلامة الشيخ سي احمد كريم قدمناه على بركة الله تعلى وجعلناه شيخ الاسلام بمملكتنا التونسية يفتي ويحكم بمشهور مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله تعلى عنه وعن بقية الائمة المهتدين وما جرى به العمل مع مراعاة ترتيب دار الشريعة المعمورة . موصى في الابرام والنقض بتقوى من يعلم خفيات السماوات والارض . وصية صدرت مصدر الذكرى التي

(١) مما يؤيد هذه الحقيقة عبارة الوثيقة التاريخية الاتي نصها :
من عبد الله سبحانه الراجي عفوه واحسانه المشير محمد الصادق باشا باي سدد الله اعماله وبلغه من اعزاز هذا القطر ءاماله اما بعد فان العلم الهمام الحجة شيخ الاسلام محبنا الشيخ سي محمد بن الخوجه اوليناه نظارة دار الشريعة يتعاطى النظر في ذلك كمن كان قبله واوصيناه بمزيد الاجلال والسلام وكتب في ١٠ جمادي الاولى سنة ١٢٧٨

تنفع . ويعلي الله بها الدرجات ويرفع . كما اوصينا له بمزيد التعظيم والاجلال . ومعرفة ما له من الكمال وصون منصبه الشرعي عن الاخلال . والامر لله وحده الكبير المتعال . والسلام من الفقير الى ربه تعلى عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله وكتب في ٨ يوم الاربعاء من ذي الحجة الحرام سنة ١٣١٣ الموافق للتاسع عشر من ماي سنة ١٨٩٦ اهـ .

واسترسلت ولاية المشيخة بنظامها المتقدم في فقهاء الحنفية الى محرم ١٣٥١ وفيه شغرت الخطة فوقع ازدواجها باحداث اخت لها على مذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه واسنادها لكبير اهل الشورى المالكية والغي عندئذ لقب الباش مفتي المالكي بتونس كما الغي قبله بزمن طويل لقب باش مفتي الحنفية وبهذا الازدواج الذي كان متوقعا من قبل حصل التساوي الحق بين قطبي الشريعة صاحبي الفضيلة امامي المذهبين الزكيين واعلن ذلك بمنشور وزيري صدر للعمال لاذاعته في افاق المملكة التونسية

ولننتقل الآن للكلام على علاقة اهل العلم باهل الدولة ففي البداية نقول ان اهل العلم كانوا في القرون الاولى يتحرجون من الالتحام والانتساب لاهل الدولة اتقاء الزيغ عن الصراط المستقيم واليك نموذج في صحة ذلك . قال القاضي ابو الفضل عياض في كتاب المدارك : لما ثار القوبيع على محمد بن الاغلب قال بعض القواد اليوم سيتمكن من سحنون اما يخسر دينه او دنياه فقالوا للامير سحنون داعية مطاع فامره بنصرك على هذا الخارجي فبعث فيه الامير واعلمه بالامر واستشاره في قتاله وان يعلم الناس بعرض ذلك عليهم فقال له سحنون غشك من دلك على هذا متى كانت القضاة تشاورها الملوك في صلاح سلطانها ونهض من عنده اهـ

قلت هذا الاعراض الذي تلقى به سحنون دعوة الامير الاغلبي لتاييده ومناصرته على عدوه ربما يقول قائل انه لم يكن ذلك بالقاعدة المطردة في علائق الملوك باهل العلم وهذه نظرية صحيحة لان التاريخ يثبت اختيار الملوك في مهمة القضاء لمن يكون معاضدا لسياستهم وموافقا لمشربهم كما تقدم بسطه في المقالة الاولى من هذا المبحث ولكن التاريخ يرينا من ناحية اخرى ان اهل العلم كانوا في كل عصر يمثلون العنصر المغالب لذوي السلطان على امرهم فالخليفة المستنصر بالله ثاني سلاطين بني حفص لما قال للفقيه ابن عصفور : قد اصبح اليوم ملكنا عظيما اجابه ابن عصفور بقوله : بنا وبامثالنا فهذا الجواب ولئن كان فيه حتف ابن عصفور يرينا ثبات عزيمة هذا الفقيه ورسوخ قدمه في المجتمع التونسي يومئذ نعم انه ابان من ناحية اخرى ان الفقهاء ابعد الناس عن السياسة اذ كان عليه ان ينظر فيما ذا سيكون صنيع الخليفة بعد سماعه لمثل تلك العبارة وهو انما تفاخر بعظم سلطانه لاستطلاع رايه فيه . وامثال هذا التناطح بين ولاة الامور وبين اهل العلم كثيرة في كتب التاريخ الى عهود متاخرة فتدخلات الشيخ ابراهيم الرياحي رضي الله عنه بالنقد والتفنيد وعبارات الوعيد فيما كان يراه زيغا من سلوك بعض اولي الحل والعقد عن منهاج الشريعة فيها الدلالة الكافية على ان اهل الدولة

كانوا في شق واهل العلم في شق آخر وهذا الشيخ الجد وهو وسلفه وعقبه من صنيع البيت الحسيني بعث له المشير احمد باي ذات يوم معينه صالح شيبوب لاستفسار خاطره وسؤاله عن صحته وفي اثناء الحديث قال المعين للشيخ رحمه الله ان سيدنا بعثني معاتبا من اجل طول مغيبك عنه فقال الشيخ للمعين :

قـل للامير نصيحـة لا تركنن الى فقيه
ان الفقيه اذا اتـى ابوابكم لا خير فيه

ثم بسط كفيه لباري النسمات وباعث الرفات ودعا للمولى الامير بسعادتي الدنيا والاخرة وقال لمبعوثه اشهدك انني وهبت ثواب هذه السلكة التي بين يدي من صحيح البخاري لسيدنا المشير دامت معاليه وسعدت ايامه ولياليه اهـ

ولنضرب لك مثالا ءاخر في معنى تحرج العلماء من الوزراء . ففي سنة ١٢٨٧ شغرت بجامع الزيتونة خطة مدرس من الطبقة الاولى وراج عند ذلك بين العلماء اسم المرحوم الشيخ احمد الورتاني واستحقاقه لتولي التدريس من الرتبة الثانية التي ستكون شاغرة بتقدم صاحبها للخطة المنحلة بالطبقة الاولى فلما كلموا في ذلك شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية قال ذلك رجل له صلة باهل المخزن يعني برجال الدولة ونقلت العبارة للوزير مصطفى خزندار فاستصدر في الحال مكتوبا من سمو الباي المعظم للمشائخ النظار في اختيار الشيخ الورتاني للتدريس بداية بالرتبة الاولى وهذه الولاية لها اختان شبيهتان بها في تاريخ جامع الزيتونة ولولا خوف الاطالة لذكرتهما هنا ولكن قراء المجلة سيجدون ان شاء الله ذلك بالتفصيل في كتابي « معالم التوحيد في القديم وفي الجديد » المثل الآن للطبع .

ولننظر الآن في علائق العلماء مع اهل الدولة بحصر المعنى اي من حيث الوضع الرسمي الذي هو خط السير في هذا الزمان فنقول يظهر فيما يلوح ان مشروع عهد الامان كان فاتحة عصر جديد في تلك العلائق فان فقهاء المذهبين احضرهم المشير محمد باي يوم اعلانه بذلك المشروع في سنة ١٢٧٤ واحضر معهم في مجلس واحد اهل دولته وقناصل الدول وكبار القسيسين والرهبان واحبار اليهود فكان هذا اول اجتماع لاهل الشريعة باهل السياسة في مجلس رسمي حفيل لمصلحة عمومية تهم الايالة التونسية واول الغيث قطر ثم ينهمر ومعلوم ان عصر المشير محمد باي جاء متمما بطبيعة حاله لعصر سلفه المشير احمد باي الذي اوجد كما اسلفنا تطورا عظيما بنظم الدولة وسلطة الدولة تشمل البر والفاجر فكان لا محيص لاهل العلم من مسايرة تيار المستجدات العصرية التي قضى بها الزمان في تلك الاثناء ولا سيما في عصر الدولة الصادقية الذي هو عصر الاصلاحات الجامعة الشاملة التي قام بها المصلح الكبير الوزير خير الدين في دواوين الدولة ودواليب الاعمال ومجالس الاحكام من شرعية ووضعية وعرفية وهنا نصل بالقاري الكريم للعقد الاخير من القرن الهجري الماضي .

في هذا العقد امتاز جماعة من فقهاء المذهبين بفهم اسرار الشريعة ومعاضدة خير الدين بتاييده في

سياسته واعانته على مشروع الاصلاح المشار اليه وكان في مقدمة هذه الطائفة الصالحة من العلما، شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الخوجه وبقية رجالها هم الشيخ مصطفى رضوان والشيخ محمد بيرم والشيخ الطاهر النيفر والشيخ عمر بن الشيخ فهؤلاء الاعلام كانت لهم يد عاملة في مقام الاصلاح وبمشاركتهم وقع تاسيس المدرسة الصادقية التي كان القصد من احداثها ايجاد طائفة من ابناء البلاد جديرة بالمشاركة في تسيير سفينة الاحوال بهذه الديار ولم يمر غير زمن قليل حتى ظهرت نتائج مشروع الوزير خير الدين فيما توخاه من النهوض بالبلاد في طرق الاصلاح وانشرحت الصدور واستبشر الناس وقالوا حي على الفلاح .

ولما استهل عصر الحماية كان اهل العلم بحالة فهم لتلك المقدمات وعلى تهيؤ واستعداد لمجاراة الحالة الجديدة ولكن كثيرهم كانوا يخشون الفكر العام لان لفيف الامة كانوا في مدارك الجهالة بالحالة السياسية الحادثة لانه مرت عليهم القرون وهم لا يرون الضوء الا من سم الخياط ناهيك ان الشيوخ تحاشوا عن المشاركة في عيد الجمهورية عند اقامة موسمه الاول بتونس فكان ذلك حاملا للوزير المقيم مسيو كمبون على الزامهم بالحضور في موسم العام التالي(١) ولما وجهت دولة الحماية عنايتها نحو تدوين القانون العقاري عقد مسيو كمبون لذلك مجلسا من اهل الدولة ومن علماء الحقوق وعلماء الشريعة فكان هذا المجلس فاتحة مستقبل سعيد ومنهج قويم سلكه الفقهاء في علائقهم مع الدولة وطبعا وقع التوسع بالتالي في هاتيك العلائق لمصلحة الجانبين ولما اعتدت يد اثيمة على جميل الذكر صاحب الفخامة مسيو سعدي كارنو رئيس الجمهورية في سنة ١٣١١ بمعرض ليون كتب بعض اهل العلم من ذوي الشخصيات البارزة تعزية في ذلك لجناب الوزير المقيم فلما شاع خبر هذه التعزية بين الناس قام بعض المذبذبين يقول ان مثل هذا السعي من علائق اهل السياسة لا من وظائف اهل العلم وكانه تعامى او تجاهل بما ورد في الصحيح من ان النبيء صلى الله عليه وسلم سعى بذاته الشريفة لعيادة جار له من اليهود. واتفق ان

---

(١) هذا الحادث نقلته مجلة العالمين باوضح بيان ضمن مجموعة رسائل صدرت من الوزير مسيو كمبون لزوجته في سنة ١٨٨٤ نشرتها المجلة المذكورة بعد وفاة هذا الوزير الخطير في سنة ١٩٢٤ ومما تضمنته تلك الرسائل تصريح مسيو كمبون بان الكردينال لافيجري كان في مقدمة المعاضدين له على انجاز مشروع الحماية وعلى تاييد شوكة فرنسا بتونس ننقل هذا الاعتراف هنا ليتدبر القاريء الكريم الفرق بين حيثية العالم الديني في بلاد الاسلام وبين حيثية العالم النصراني باروبا والكردينال لافيجري كان محرزا على خمس دكتوريات كان دكتورا في العلوم ودكتورا في الآداب ودكتورا في الفلسفة ودكتورا في الحقوق ودكتورا في علوم اللاهوت ونحن مازلنا تقوم وتقعد اذا رأينا فقيها امتاز بين اقرانه بالتفوق بفضل علمه ونشاطه وذكائه الفطري ووقوفه على اسرار الشريعة بما لا مانع فيه من حضور مظهر سياسي او احتفال او سعي لزيارة او ردها لبعض اهل الحل والعقد او شبه ذلك ولا نعدم عند ذلك قيام بعض المتبرئين من دم البراغيث بدس السم في الدسم والقول بان ذلك السلوك من متعلقات اهل الدولة لا من متعلقات اهل العلم وحسب هؤلاء الاعراض عن السياسة والاكتفاء بالتطيلس والرئاسة

الدولة عزمت يومئذ على تشريك معالم الدين في مظاهر الحداد بنشر الراية التونسية معصبة بالسواد فوق واجهات بيوت العبادة قياسا على العادة الجاري بها العمل باوربا فاستدعى الكاتب العام معتمد الجمعية صاحبنا السيد البشير صفر ليإذنه باتمام ما استقر عليه الراي وعندها لاحظ المعتمد بان ائمة الدين الاسلامي اعربوا عن شواهد اسفهم بالمكتوب الذي ارسله زعيمهم لجناب المقيم ويظهر ان في ذلك كفاية لان المساجد عندنا لا علاقة لها بالسياسة بل هي بيوت للعبادة وحسب وان كان ولا بد من مظهر علني في ذلك فليكن نشر الراية التونسية فوق ابواب امهات المدارس كمدرسة حوانيت عاشور وغيرها فاستحسن الكاتب العام هذا الجواب المقنع وكان العمل بمقتضاه وفي هذا السلوك دليل قاطع بصحة ما هو متعلق بالاذهان من احترام الامة الحامية لعقائد ومعابد الامة المحمية

وكان الشيخ احمد بن الخوجه رحمه الله يحضر حفلة التكريم التي يقيمها المجلس البلدي للمقدس المولى علي بـاي ليلة المولد الشريف بحضور رجال الحماية وسمو الباي يجلسه ليمينه بذلك المقـام واتفق له ايضا حضور حفلات توزيع المكارم على التلامذة المبرزين بالمدرسة العلوية مع المقيم العـام م. كمبون وبمدرسة كارنو مع م. ماز من اعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ولقد حضرت مرة بدار السفارة في جملة من شرفهم الوزير المقيم م. ريني ميلي بالاستدعاء لمشاهدة مناظر حية من معمل خالد الذكر الاستاذ باستور منقذ الجنس البشري من داء الكلب (١) فكان في مقدمة الحضور العلامة الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام والمفتي الثاني الشيخ محمود ابن الخوجة ولما قدم فخامة مسيو لوبي رئيس الجمهورية لزيارة تونس وملكها المقدس المولى محمد الهادي باي سعى شيوخ المذهبين للسلام عليـه بالسفارة العامة وحضر شيخا الاسلام الشيخ محمود بن الخوجه والشيخ احمد الشريف مع فخامته بميدان الملاسين لاستعراض مشائخ الطرق ومريديها وهكذا كان صنيعهم عند زيارة اخلافه بمسند الرئاسة الجمهورية : فخامة مسيو فليـار وفخامة مسيو ميلران وفخامة مسيو دومرق وكلما تكرر قدوم مقيـم جديد سعى الشيوخ للسلام عليه وعرض شواهد الصفـاء والوفاء واعتمـادهم على الدولة الحامية في مقـام مناصرة الشريعة وصونهـا ورجالهـا من طوارق الحدثان الامر الذي وفت به فرنسا شبرا بشبر في بحر هذه الستين سنة ليرى مبصر ويسمع واع وانا بنفسي صاحبت شيوخ المذهبين للترجمة بينهـم وبين الفقيد الوزير مسيو الابتيت يوم الاعلان بالهدنة عنـد انتهاء الحرب العالمية وكانوا كلهم السنة ناطقة بالحمد لله والشكر لله ثم بالدعاء وبشواهد الثناء والامتنان لذلك الرجل العظيم الذي قال لهم في جملة ما افضى به اليهم من الحديث انه لمغبوط ومفتخر بوجود اقطاب الشرع الاسلامي حوله وانه لمبتهج بسماع شواهد

---

(١) يستفاد من احصائية رسمية نشرتها جرائد هذا الشهر ان عدد المصابين الذين وقع علاجهم بمعهد باستور بتونس في عام ١٩٣٨ بلغ الى ١٠٧٩ نسمة

الـود وعرائض التهاني من افواه اهل هذه الطبقة الشريفة الممثلين للسؤدد كله ولجميع صفات الفضل والعلم فهـو يستبشر بحلول طالع سعيد من اجل هذه الزيارة المباركة في مثل هـذا اليوم يـوم الظفر والنصر العـائد فخـره على الامتـين الحـامية والمحمية معا وبقي بمحفوظي انني ترجمت ذات مرة اخرى بين حضرات الشيوخ وبين جناب الوزير مسيو بيشون المقيم الاسبق في مناسبة هامة دلت على رسوخ ما هو متعلق بالاذهان من انـ رجال الشريعة هم في مقدمة قـادة الامة وهم المثـل الاعلى الذي عليه الاعتماد واليه الرجوع وعليه الاستناد

وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتـاج النهـار الى دليل

انما الشيء الذي لا يناسب كرامة الفقيه هو الترامي على الابواب والاشتغال بما لا يعنيه او كان خاليا عن فائدة لجماعة المسلمين وهذه النقائص لم ينسبها احد حتى الآن لاهل العلم والحمد لله

بقي علي استدراك شيء فاتني التعليق عليه بمقالتي الاولى في مبحث القضاء من وجود مذهبين قائمين بالحكم في عصر واحد بهذه الديار الافريقية قال عياض في المدارك : وكان سحنون يجلس في بيت بالجامع بناه لنفسه اذا راى كثرة الناس وكثرة كلامهم فكان لا يحضر عنده الخصمين ومن يشهد بينهما في دعواهما وسائر الناس عنه بمعـزل لا يراهم ولا يسمع لغطهم ولا يشغـل باله امرهم فصار الجلوس في ذلك البيت سنة لقضاة المالكية فاذا ولي عـراقي (اي حنفي) هدمه واذا ولي مـدني (اي مالكي) بناه وحكم فيه اه

كذلك سبقت مني الاشارة في مقالة القضاء الثانية لاحكام رؤية الهـلال وانها من متعلقات قاضي المالكية فوقفت بعد ذلك على ما يؤيد ان النظر في ثبوت الهلال كان من حقوق الجماعة الحنفية في اواخر القرن الثاني عشر حسبما يستفاد ذلك من وثيقة تاريخية وهي عبارة عن مكتوب في ثبـوت هلال رمضان عام ١١٩٤ بعث به قاضي الجماعة الشيخ محمد بيرم الثاني للمولى علي باي الثاني ونصه : اما بعد السلام التام فلتهن مولانا بالهلال الجديد والطالع السعيد والمقدمة التي نتيجتها العيد فلقـد ثبت لدينا الثبوت الشرعي المحرر المرعي اهله الله تعلى عليكم وعلى المسلمين باليمن والبركة وقـران الخير في حال السكون والحركة فليأذن مولانا باطلاق البشير والسلام اه من رسالة التعريف بالبيارمة

وهنا انتهى بنا الكلام في مبحث القضاء الشرعي وسيكون عنوان مقالتي الاتية : اسد بن الفرات وفيها ناتي على تاريخ انتشار المذهبين الحنفي والمالكي بافريقية وكل ءات قريب

محمد بن الخوجه

حديث ـ اتق الله حيثما كنت

اخرجه الترمذي في جامعه في باب ما جاء في معاشرة الناس قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبدالرحمان بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب ابن ابي ثابت عن ميمون ابن ابي شبيب عن ابي ذر قال قال لي رسول الله اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، وفي البـاب عن ابي هريرة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا ابو احمد وابو نعيم عن سفيان بهـذا الاسناد نحوه حدثنا محمود حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن معاذ بن جبل عن النبيء صلى الله عليه وسلم نحوه قال محمود والصحيح حديث ابي ذر .

فوقع سهو في نسبة تخريجه للامام البخاري الذي اثبتناه في الجزء الخامس صيحفة ٢٢٤ تعين تداركه

صفحة من تاريخ تونس — صلة تونس بالدولة العلية

بعثة خير الدين للاستانة

في سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

❀ ❀ ❀

غير ان الصدارة العظمى لم تنجز ما وعدت به وفي سنة ١٢٨٨ تعكرت العلايق بين الدولة التونسية وحكومة ايطاليا التي كان مستقرها اذ ذاك فيرينسا قبل فتح رومة ولم تكن الحكومة الفرنساوية في استعداد لمعاضدة سمو الباي على عادتها في مقاومة التيار الايطالي لاشتغالها بحربها ضد المانيا وبالارتباكات الداخلية الناشئة عنها فظهر من المناسب تذكير الباب العالي واليكم نص المكتوب الموجه للصدر الاعظم في تاريخه في عالي باشا :

« ١٠ »

الحمد لله اما بعد التحية فالمنهي الى جناب الصدارة العظمى ادام الله تعلى اسعادها وجعل من التوفيق الالهي امدادها ان معظم قدرها العالي لم يزل جاريا في مجاملته للدول الاروباوية ورعاية نوابها ورعاياها بهذه المملكة على ما جرت به العادة واقتضته رعاية المصالح الاسلامية بهذه الديار بقدر الاستطاعة ومن جملتهم دولة ايطاليا الى ان عرضت لقنصلها نازلة جزئية بنى عليها امرا سياسيا وهو قطع الخلطة التي سعينا في ارجاعها بما امكن حسبما تقرر ذلك لسفير الدولة العلية بفرنسا على لسان رسولنا الذي وجهناه لهذه النازلة حسبما شرحها مستوفى بالتقرير الواصل مع هذا لجناب الصدارة العظمى ولما كان من المعلوم ان المقاصد السياسية الباطنة مخالفة لظواهرها والاعتداد للتوقي من ذلك امر واجب شرعا لا سيما مع تيسر اسبابه بوجود الدولة العلية الذي هي سلطنة الاسلام والمفزع في المهمات العظام القائمة بحماية اقطار المسلمين والاعانة على اقامة شعاير الدين التي لا يراع سرب من اتصل باسبابها وامل الخير والانعام من ابوابها اعاد معظم القدر العالي مطلبه من ابواب الخلافة العلية التي هي محط الآمال ومصدر النعم والافضال التي تعودها هو وسلفه من رفيع جلالتها المتين ورفيع جلالة سلفها الخلفاء الراشدين بكتابه الواصل مع هذا طالبا من فضلها العالي انجاز ما سلفت به الارادة السنية وهو صدور الفرمان العلي الذي تضمن كتاب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ انه حاضر وقت ما نطلبه وتكرر منا طلبه فيما سلف وتاكد مضمون كتاب الصدارة العظمى معتمدا على ابواب الصدارة

العظمى في اعانته على ما امله من فضل الخلافة العلية بمقتضى ما تعوده من فضلها وانجاز ما سلفت به الارادة السنية وهو صدوره على مقتضى ما تضمنه كتاب الصدارة العظمى المذكور اعلانا بنعمة الدولة العلية على شاكر فضلها والداعي بتاييدها ونصرها ووقاية لهذا القطر الاسلامي الذي تخطب ايمته على منابره بالدعاء للخلافة العثمانية ولحامل لوائها والقائم باعبائها وتامينا له من الاغراض السياسية التي يوجب الدين القويم التحذر منها اذ صدوره على مقتضى كتاب الصدارة العظمى المشار اليه مانع لتلك الاغراض لتضمنه وصلة هذه الساحة بالممالك المحروسة واعانة لمعظم القدر العالي على اجراء مصالح هذا القطر التي هي مطمح انظارنا ومجال افكارنا بما جرت به العادة المقررة التي تضمنها الكتاب الكريم المذكور وعلى معارضة من يقصد هذا القطر بما يصادم حقوق الدولة العلية او حقوق معظم القدر العالي والمقطوع به عن جناب الصدارة العظمى التي احلها الله تعلى المحل الرفيع التفاتها لهذا المطلب والقاء للابواب العلية بما هو المعروف من غيرتها الدينية ومحافظتها على حماية الاقطار الاسلامية واستمطار مكارم الخلافة لاتمام ما تفضلت به لهذه المقاصد الدينية ومعظم القدر العالي يعتمد جلالة جنابكم الرفيعة التي يتيقن انها توجه عنايتها لهذه المصلحة التي هي من مصالح المسلمين والاعتناء بها اعتناء بحماية الدين وقد اعدنا هذا المطلب لهذا الغرض الديني وهو وقاية هذا الوطن على ما تعوده اهله وبموجب طلبنا له المرة بعد المرة لهذه المقاصد التي منها وصلته بالاقطار المحروسة نري اني وفيت للدين وأهله بما اوجبه الله تعلى من رعاية مصالحهما وارتفعت عني المسئولية في ذلك عند الله تعلى وعند عبيده والمحقق من جلالة الدولة العلية ان تسمح بتلك المقاصد لعامة المسلمين فضلا عن قطر لها به حقوق مرعية وعن عبد نعمتها الذي تقلب هو وسلفه في خدمتها والمقام الذي احل الله فيه الصدارة العظمى يوجب عليها الاعتناء بمصالح المسلمين وترغيب جلالة الخلافة العظمى في حماية اقطارها واتباعها المخلصين ودوام مرضاتها على عبد نعمتها الشاكر بفضلها وفضل سلفها الايمة المهتدين والله سبحانه المسئول ان يمدكم باعانته على عز الاسلام وتخليد المئاثر العظام ودمتم الخ وكتب في ٥ صفر الخير سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين .

« ١١ »

تعريب الرقيم الوارد من دائرة الوزارة العظمى الى سمو الباي

في ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٨٨

الحمد لله ان اعظم ما في أمال مولانا امام المسلمين خلد الله سلطانه انتظام ممالكه وتوابعها في سلك الامن والسعادة وان تكون الايالة التونسية التي هي وديعة تحت ادارتكم ايضا كذلك ويرى أعزه الله حسم ما كان يخالف موجبات الامن والراحة من متعلقات ادارتكم العلية ومما هو مندرج في طي

المتبوعية والذي اوجب هذا النظر الدقيق السلطاني من مولانا اعزه الله هو نازلة الطليان التي تكونت بتونس المستفاد اضمحلالها على احسن حال من الدولة المشار اليها بواسطة سفيرنا المقيم بها للصداقة الجارية بيننا وان المسئول عليه من هذا الحادث وغيره ان ادارتكم في اكثر الخصوصيات صارت غرضا لمشكلات صعبة تدعو الى ضرر خطير وفي هذا الباب لم يبلغ الدولة العلية خبر صحيح يعتمد عليه والا كان بالمذاكرة لم تبق معاملات الايالة تحت يد تحكم الغير ولا تخرج الامور عن دائرة العمود الحالية والاصول العمومية فكان الاهم والا لزم اعلامكم الدولة العلية بالنوازل الحالية مهما عرضت والذي يناسب الحال الحاضر الآن هو ان تنتخبوا امينا من طرفكم يعتمد عليه وترسلوه للمذاكرة معه اعزه الله فيما تقتضيه المصلحة في دفع ما يتوقع من المضرات الملحوظة بتسهيلات مولانا وهذا ما اقتضاه امره العلي وارادته السنية بادرنا في اعلامكم به والسلام

« ١٢ »

تعريب الرقيم الوارد من طرف الصدارة العظمى إلى سمو الباي

في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨

الحمد لله ان معروضكم الخصوصي المحتوي على ارتباط الايالة التونسية وعامة اهاليها بالسلطنة السنية وممالكها وعلى لزوم تاييد وتجديد حكم متبوعيتها القديمة وغير ذلك من تفاصيل وافادات من هذا الباب وصل يد ودودكم مصحوبا بكتب اخر من ذوي السعادة مصطفى باشا وخير الدين باشا وقد فك ختامها في المجلس الخاص وقرئت على الانفراد بمحضر الوكلاء ثم عرضت على الاعتاب الملكية هذا وقد كانت فذلكة هذه التحريرات عبارة عن البحث في احوال الايالة الحالية وما نالها من المضار المجزوم بتاثير هلاكها وما اصاب اهاليها منذ مدة من العسر وما يشعر بالامل في استجلاب موجبات العمران والتشبث باسبابه كما انه عبارة ايضا عن طلب ما وعدكم به مولانا اعزه الله من اصدار فرمان يكون به تامين الايالة داخلا وخارجا ، ولما كان من مقتضيات ما تخلق به مولانا من السجايا الحميدة حب السعادة لكم ولذويكم ولمن هو تحت تصرف ادارتكم مع بذله اعزه الله الهمة العلية في جلب ما يتم به لكم نصاب الامن والراحة

وكما يعلم بان ذلك ترتب في ذمته وتحتم عليه وانه من الحقوق المقدسة السلطانية يعلم ايضا ما به افتخاركم من اللياقة وما انتم مفطورون عليه من حسن الطوية من ءاثاره الباهرة مع علمه بانكم تعلمون ذلك علما يقينيا وان لا تكون سعادة الايالة التامة وسلامتها الا بالتمسك والاعتصام بعروة الخلافة الوثقى وبناء على ما اوجب ذلك من الحظوظ الصحيحة من مولانا يتوقع التردد في تفضله بالفرمان السالف الذكر غير ان من ذلك الوقت الى الآن فاحوال العالم التي لا حاجة في بيانها

والتغييرات الوقتية زادت في اشكال معاملات الايالة الخارجية زيادة كلية والآن يرى من اللازم دفع ما تسبب عند الشكوك والاشتباهات كما يرى من اللازم تامين وتاييد ذاتكم وذويكم ويوضح مالكم وعليكم من الحقوق المصدقة والمقدسة السلطانية بصورة كافية شافية بالفرمان المطلوب وان كان حصول هذا المقصد الاهم لا يتاتى بالرسائل والمكاتبات كما افدناكم برقيم قبل هذا بل لا يكون الا بارسالكم رجل عمدة او رجلين للمذاكرة معه في تاسيس ما بـه الامتياز المطلوب الادارة والمعاملات الآتيـة وتسويتها بالاتفاق وقد استنسب ذلك وصدرت به الاراد الملكية وفي نفس الامر لا شبهة في اوليتكم بالموافقة والتصريف ولذلك اكتفينا ببيان الحال فقط والنظر الاعلى لكم والسلام

« ١٣ »

تعريب الرقيم الوارد من الصدارة العظمى الى جناب الوزير الاكبر في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨

الحمد لله – ان كتابكم المتضمن حرصكم على الفرمان الذي وعدتم به عام ٨١ ليكون به دفع ما عسى ان يقع من المضار وصل يد ودودكم وقريء وفهم بكمال الامعان وبعـد استيعاب ما اشتملت عليه معانيه في المجلس الخاص عرض على الاعتاب الملوكية وجملة الملاحظات التي هي ثمـرة الدرايـة والحمية وقعت من مولانا اعزه الله موقعا زائد الاستحسان ولما كان ذكر ما رفع هـذا الطرف ليس الا تكرار لحظ اذ هو بين بالتحرير المرسل لصاحب الولاية اعرضنا عنه واردنا بهذا الرقيـم مجرد تاييد مباني الخلوص والموالاة والسلام

« ١٤ »

مثله بنصه من الصدارة العظمى لجناب الوزير المباشر خير الدين

....

❀ ❀ ❀

فوقع اختيار الحضرة العلية على خير الدين ليكون ذلك الرجل العمدة الامين المطلوب ارساله لدار الخلافة . ولدينا امران عليان في هذا التعيين احدهما مؤرخ في العشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ والآخر مؤرخ بالغد اي بالحادي والعشرين من الشهر نفسه وكلاهما مختوم بالطابع السعيد ومحلى بالامضاء الشريف ومذيل بامضاء الوزير الاكبر مصطفى خزندار ولما كان النص متغايرا نوعا ما رأينا نشر الامرين مع اردافهما بنص المكتوب السامي الصادر لخير الدين في تحديد ماموريته وبه نجد أيضا بيان المقصد من تحرير امرين اثنين في التفويض (ننشرها في العدد القابل ان شاء الله)

الشرف الحسيني بالقيروان

والكلام على آل عوانة

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

العوانيون نسبة الى جدهم عوانة بن حمود بن زياد بن علي الرضا ابن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن سيدنا الحسين السبط شهيد كربلاء سنة ٦١ . لا يخفى ان عليا الرضا من فضلاء ءال البيت وانه هو الذي زوجه المامون العباسي ابنته وعهد اليه بالخلافة وضرب الدنانير والدراهم باسمه وبذلك استمال القلوب وامتلكها وانه توفى بطوس سنة ٢٠٣ ودفنه المامون الى جنب ابيه الرشيد . وهو الجد الثاني لعوانة المذكور .

وفي شهر رمضان عام ٣٣١ شهد عشرة من خيرة فقهاء عدول القيروان ومشاهير فقهائها على الترتيب الآتي وهم :

« ١ » ابو زيد عبد الرحمن بن عمر بن علي بن عامر التميمي « ٢ » وابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي زيد (١) - «٣» وابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (٢) - «٤» وابو اسحاق ابراهيم بن محمد السباءي (٣) - «٥» وابو اسحاق ابراهيم بن علي القيسي « ٦ » وابو النما كثير بن عمر بن كثير القيسي « ٧ » وابو العباس احمد بن عبد العزيز الصدفي الجعدي « ٨ » وابو محمد عبد الصادق بن عبد الله الازدي « ٩ » وابو الحسن علي بن عبد السلام بن اخي حجون القرشي « ١٠ » وابو موسى عيسى بن عبد الحميد البلوتي . تلك عشرة كاملة شهدوا في رسم نصه :

شهوده يشهدون بمعرفة الفقيه (٤) ابي العلا سالم بن ابي مروان عبد الملك ابن ابي موسى عيسى ابن الشيخ الفقيه (٥) الصالح ابي العباس احمد بن عوانه القرشي الحسيني المعرفة التامة وهم يشهدون مع ذلك انه لم يزل ينتسب الى هذا النسب الشريف حائزا له ولم يزالوا يسمعون ذلك سماعا فاشيا منتشرا من الثقات العدول وغيرهم ان ابا العلا سالما المذكور قرشي حسيني ولا يعلمون احدا طعن عليه فيه منذ عقلنا الى حين التاريخ قيد (٦) على ذلك كله شهادته هنا بتاريخ شهر رمضان المعظم عام

---

(١) هو صاحب الرسالة والنوادر (٢) المعروف بالقابسي فقيه القيروان ومفتيها (٣) السباءي الشهير ضجيع سحنون اليوم (٤) ناهيك بشهادة ابن ابي زيد والقابسي ومن معهما له بالفقه الذي نازع بعض الفقهاء في وصف ابن ابي زيد نفسه بالفقيه وانه لا يستحق في ذلك العصر أن يوصف به ووصف في موضع ءاخر بالعدل ايضا (٥) ناهيك بقولهم الفقيه الصالح وما يدل عليه هذان الوصفان في ذلكم العصر الزاهر (٦) فاعل قيد هو قوله عبد الرحمن بن عمر الخ كما هو المالوف الى اليوم في قول العدل شهد الخ

احدى وثلاثين وثلاثمائة. ويليه اسماء اولئك العدول العشرة بخطوطهم ونصه على الترتيب المتقدم عبد الرحمن بن عمر بن علي الى ءاخر أسم العدل العاشر ويليه قول عدول هاته النسخة من هذا الاصل بما نصه : هذه نسخة ذلك كاصلها فلو قوبلت به فكان سواء ممن وقف على الاصل المنتسخة منه هذه النسخة وعاين شهادة ابي زيد عبد الرحمن وذكروا اسماءهم على الكيفية (١) والترتيب المتقدم وبالكنى عنده المتقدمة وقالوا اثر قولهم وعاين شهادة الخ مكتتبة بموضعها منه وعلم انها شهادتهم بخط ايديهم لا شك في ذلك ولا ريب وانهم ماتوا على العدالة وقبول الشهادة وقيل على ذلك شهادته على ذلك كله بتاريخ العشر الوسطى من شهر شوال عام ثلاثة وعشرين وستمائة شهد علي « ١ » بن عبد الله بن قاسم بن مصيله الهواري « ٢ » وصالح بن حسن القرشي ويحيي « ٣ » بن عمر بن عبد الرحمن المدحجي « ٤ » وعبد الرحمن ابن ثابت التميمي

فشهود هاته النسخة والمعرفون بخطوط عدول الاصل اربعة من ثقات فقهاء عدول القيروان المشاهير في أول القرن السابع زيادة عن العدول الآخرين الآتية اسماؤهم اذ هذا الثبوت الاصلي اخذت منه هذه النسخة في هذا التاريخ وهؤلاء العدول المذكورين وبشهادتهم بعدالتهم وقبول الشهادة منهم حتى لوفاتهم .

واخرجت منه ايضا نسخة اخرى وعلى هذا النمط مؤرخة بغرة ذي القعدة عام ٦٧٨ بشهادة العدلين ابي عفيف صالح بن حسن القرشي وابي زيد عبد الرحمن بن ثابت التميمي المذكورين لمن طلبها منهما من مستحقيها .

ونسخة اخرى ايضا مؤرخة بالعشر الاول من شهر محرم عام ٦٨٢ اثنين وثمانين وستمائة بشهادة العدول الاربعة الآتية اسماءهم وهم الفقهاء اسحاق بن ابراهيم بن يعقوب الدهماني ومحمد بن ابراهيم بن عمر بن عبد العالي الربعي وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي دلف وعبد الرحمن ابن محمد بن علي الانصاري . ونسخة ايضا مؤرخة باوائل جمادى الاولى عام ٧٩٧ بشهادة العدلين محمد ابن عبد الواحد بن عبد السلام الدهماني ومحمد بن عبد العزيز بن ابي الرجال الربعي . واخرى مؤرخة باواخر جمادى الاخرة عام ٨٣٧ بشهادة العدلين بالقيروان فى التاريخ المذكور الفقيهين الشيخ خليفة ابن احمد بن ناجي التنوخي واحمد بن محمد بن مخلوف التوزاني . (يتبع)

« محمد طراد »

---

(١) هاته الكيفية وهو تلقي شهادات الشهود والشهادة من العلم مثل هذا الثبوت تقع بغير اذن القاضي ودامت على ذلك حتى للدور الحفصي فصار يضع القاضي عقده أمام الحمدلة موضع الطابع اليوم ولا يذكر اسمه في الرسم

حول مقـال

لا عزاء بعد ثلاث

ورد على ادارة المجلة المكتوب الآتي من العالم الفاضل الشيخ بن باشير الرابحي امام وخطيب جامـع سيدي محمد بلـدة الزحاولة ونصه :

فضيلة الاستاذ العالم النحرير الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير « المجلة الزيتونية » والمدرس من الطبقة الاولى بالمعهد الزيتوني المعمور والخطيب الثاني بجامع « حمودة باشا » السلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته ، وعلى اسرة المجلة الشريفة . وبعد فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واساله ان يبقيكم لخدمة دينه وارشـاد خليقته ءامين ، سيدي انني - والحمد لله - شغوف بمطالعة دواوين العلم ولوع بقراءة المجلات العلمية الدينية لا سيما « المجلة الزيتونية » ذات البحوث القيمة والفصول الممتعة وكيف لا وهي تصدر تحت اشراف هياة علمية راقية ضربت بسهم وافر في تعليم العلم وانارة فكرة الشباب . وقد زادها جمالا وبهاء ما يحبره ذلك القلم السيال قلم مولانا الاستـاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي حفظه الله وادام النفع بـه . ولقد تتبعت كتاباته كلهـا لاكترع من ذلك المورد الصافي والمنهل الكافي والدواء الذي هو لكل داء شافي . غير ان شغفي بكتاباته ومتين استدلالاته ووفور علمه . وسعة اخلاقه يجعلني في مامن مما عسى ان يكون ممكن الوقوع عند ابداء ملاحظة سبق بها قلم الطباعة وكنت - علم الله - اترجى ان يستدرك ذلك . . . . فطال الامـد ولم يقع شيء من ذلك . فقد جاء في الجزء الثـاني من المجلد الثالث تاريخ شهر ذي الحجة ١٣٥٧ - فيفري ١٩٣٩ صحيفة ٦٠ في المقال المعنون بـ « لا عزاء بعد ثلاث » وبعد ان قتل الموضوع بحثا وتدقيقا قال بعد كلام « ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العـزاء على معنى التعزية » . والصواب خلاف ما ذكر : فقد قال الامام الحافظ اللغوي شرف الدين النووي في كتاب « تهذيب الاسمـاء واللغات » من ص ٢١ والجزء ٢ ما لفظه « والعزاء اسم اقيم مقام التعزية » وعزاه للازهري اه بالحرف . ومثله في كتاب التسلية ص ١٠٤ قال « والعزاء بالمد اسم اقيم مقام التعزية » ذكره النووي اه . . . . .

فبادرنا بعرضه على فضيلة مولانا شيخ الاسلام أبقاه الله فاجاب عن توقف الشيخ الرابحي بما نصه :

تحقيق معنى لفظ العزاء

الى ابني العزيز الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي المدرس من الطبقة الاولى وصاحب المجلة الزيتونية حفظه الله تعلى ، تحية طيبة مباركة ، قد اطلعت على الاشكال الذي ورد اليكم من الشيخ ابن بشير الرابحي الامام ببلدة الزحاولة من القطر الجزائري الذي يقول فيه « لقد جاء في الجزء ٢ من المجلد ٣ صحيفة ٦٠ في المقال المعنون (لا عـزاء بعد ثلاث) ما نصه : ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية . وقد قال شرف الدين النووي في كتاب تهذيب الاسماء واللغات خلاف ذلك ولفظه « والعزاء اسم اقيم مقام التعزية وعـزاه للازهري اه بالحرف »

وقد رايته حقيقا بالاشكال ، لما وقع في كلام النووي من الاختزال ، فصاغ به كلام الازهري على غير مثال ، اعلم ان كلمـات ايمة اللغة قد اطبقت على ان العزاء اسم بمعنى الصبر وهو من الناقص اليـاءي

وفعله كرضي ولم يسمع مصدره القياسي اي بوزن رضى كانهم استغنوا بالاسم عن المصدر . واطبقت على ان العزاء يطلق في مادة اخرى مصدرا لفعل عزا الناقص الواوي (وياتي ايضا ياءيا بقلة) وذلك بمعنى النسبة يقال عزوت هذه القصيدة الى فلان عزوا وعزاء .

وقد روي حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يتعز بعزاء الله فليس منا (١) قال ابن مكرم في لسان العرب اي من لم يدع بدعوى الاسلام فيقول يا لله او يا للمسلمين (يعني انه من عزا الواوي فالمراد النهي عن الاستصراخ بالقبائل وهو دعوى الجاهلية) ثم قال قال الازهري (٢) له وجهان (يعني لمعنى الحديث) احدهما ان لا يتعزى بعزاء الجاهلية ودعوى القبائل ولكن يقول يا للمسلمين والوجه الثاني ان معنى التعزي في هذا الحديث التأسي والصبر ومعنى بعزاء الله اي بتعزية الله اياه فاقام الاسم مقام المصدر الحقيقي وهو التعزية كما يقال اعطيته عطاء ومعناه اعطيته إعطاء اه وقريب منه في النهاية لابن الاثير غير معزو الى الازهري والازهري لم يذكر هذا في كتاب التهذيب له في اللغة بل في كتاب شرح مختصر المزني في الفقه الشافعي فهو وارد في مساق شرح وتاويل لا في مساق بيان الالفاظ اللغوية . وليس واردا مورد النقل وقد فرض احتمالين في الحديث وحاصل الاحتمال الثاني ان لفظ العزاء الذي هو اسم مرادف للصبر اقيم مقام مصدر تعزى على وجه النيابة بطريق التوسع ولذلك قال فاقام الاسم مقام المصدر الحقيقي فدل على انه ليس بمصدر حقيقي بل توسعي اي بقرينة وقوعه بعد قوله لم يتعز . والتوسع باب في كلام العرب يشبه باب المجاز وهو استعمال الكلمة في غير معناها الموضوعة له لا على طريقة المجاز بل توسعا في الكلام للتخفيف او نحوه فالفرق بين التوسع والمجاز بشيئين هما عدم العلاقة في التوسع بخلاف المجاز وكون القرينة في المجاز قرينة مانعة والقرينة في التوسع قرينة معينة فقط . فالنووي نقل كلام الازهري مبتورا محذوفا منه ما فيه من العبارات المحررة فاوهم ان التعزية من معاني لفظ العزاء ولم يذكر الحديث الذي تاوله الازهري على ان قول الازهري « اقيم مقام التعزية حارس من توهم ان العزاء مرادف للتعزية اذ لو كان مرادفا لما استقام قوله اقيم مقامه . ولو كان الازهري يريد بذلك اثبات معنى التعزية لكلمة العزاء لكان نقلا شاذا لم يسبقه به احد من ايمة اللغة وليس الازهري في عداد الايمة الذين تقبل افرادهم ، المذكورة جماعة منهم في النوع الخامس من كتاب المزهر . ولو قبلنا منه هذا الفرد لكان اطلاق العزاء على معنى التعزية من غريب اللغة غير المشتهر بين نقلة اللغة وذلك ينافي وقوعه في كلام افصح العرب صلى الله عليه وسلم اذ الخلوص من الغرابة من جملة معنى فصاحة الكلمة . وايضا فكلام الازهري لو اخذ على ما يلوح منه اول وهلة لكان قصاراه ان هذا احتمال في الحديث والمعاني اللغوية لا تثبت بالاحتمال بل يتعين في اثباتها ايراد شاهد لا احتمال فيه او ايراد شواهد كثيرة ظاهرة في المعنى المثبت وان كانت فيها احتمالات ضعيفة تدحضها كثرة الظواهر على نحو ما قرره علماء اصول الفقه في خبر الواحد

الخيــال

في الادب العربي

بقلم الاديب الشيخ احمد المختار الوزير
المعلم بمدرسة ترشيح المعلمين.

قلنا في حديثنا السابق إن الخيال هو العنصر النفسي القوي اللازم لتكميل الفن وابرازه في اشكاله والوانه المختلفة . واذكر اني وعدت حضرات القراء الكرام باستعراض مثالا لهذا الفن الذي ابدع في تنسيقه وانسجامه الخيال الخصب كل الابداع

فهذا ابو عبادة البحتري استطاع ان يحرك في نفوس قرائه عاطفة حزينة باكية مشبوبة اللوعة . فتضرمه الحسرة . بقصيدته الخالدة التي رثى بها المتوكل وما ذلكم الا لانه إستلهم خياله ، فاملى عليه صورا عميقة قوية التاثير واضحة الظل والضياء ، عرضها البحتري في شعره عرضا مو... با له خطرا العظيم في الالهام والتأثير . فاستمعوا له اذ يقول وقد هدت ركنه الاحزان وابكت جفنه الحسرات واضناه الاسف اللهيف وقيدته الحيرة الذاهلة :

محل على القاتول اخلق دائره	وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره
كان الصبا توفي نذورا اذا انبرت	تراوحه اذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده	ترق حواشيه ويورق ناضره
تغير حسن الجعفري وانسه	وقوض بادي الجعفري وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة	فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرناه اجد لنا الاسى	وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم أنس وحش القصر اذ ريع سربه	واذ ذعرت اطلاؤه وجاذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت	على عجل استاره وستائره
ووحشته حتى كان لم يقم به	انيس ولم تحسن لعين مناظر
فاين الحجاب الصعب حيث تمنعت	بيهبته ابوابه ومقاصره
واين عميد الناس في كل نوبة	تنوب وناهي الدهر فيهم وآمره
حلوم اضلتها الاماني ومدة	تناهت وحتف اوشكته مقادره

هذه ابيات من مرثاة البحتري تشعر وانت تتلوها بصوت واضح النبرات او تطيل انصاتك

لسماعها – كانك تقف مع البحتري وقفة الباكي الحزين تشهد ما كان يشهده من هول الخطب وكانك معه بحسرات قلبك وعبرات طرفك في كل ما الم به من سوء صروف الدهر وشرور ملماته المشجية المروعة

أفهل ترى البحتري استعان بشيء ... الخيال في تصوير نفسه البرة ومحبته الخالصة وعهد وفائه الوثيق ثم في تصوير مصيته الفاجعة ومحنته الفادحة ؟ وهل كان البحتري ليستعين بوحي خياله الخصب الا ليهون حعدة الالم الذي ينتابه ويساوره ويتظفر مخالبه الدامية في مداخل كل عضو من اعضائه ؟ فابو عبادة البحتري كان دون شك يشعر بالالم شعورا حادا عنيفا وكان يلتمس السبيل الى الترويح عن نفسه من ضيق هذا الالم العاصف، فنطق برثائه الذي سمعناه وما اظن الا انه احدث اعظم اثر في تموج شعورنا العاطفي.

وسل ما شئت بعد هذا كله هل في مرثاة البحتري ما ينسب الى تكلف التشبيه وصيد الاستعارة الغريبة النابية، وما ينسب الى التزوير والتلفيق والحشو الذي الفه شعراء المراثي فالسماء ما زالت تظلل الناس. والشمس ما زالت تظهر في تبلج اشراقها وضياء نورها، والقمر ما زال وضيئا لوعا يسامر النجم ويناجي الشعراء والارض مازالت على عهدها السابق لم تدمرها الزلزلة ولم تحطمها الصاعقة والجبال لم تنسف ولا اندك شيء من شاهق صروحها واعالي عروشها ومرثاة البحتري على خلوها من هذه الغرائب تصور نكبة القصر وفاجعة الخطب ورزيئة الموت في ابلغ عبارة واضحة واسلوب رصين فيه من القوة ما يثير كوامن الاشفاق والرحمة والحزن الشديد، بل قل ان بيتا واحدا من مرثاة البحتري يكفي لاثارة ما اراد الشاعر اثارته في نفوس السامعين وهو هذا البيت :

ولم انس وحش القصر اذ ريع سربه واذ ذعرت اطلاؤه وجاذره

فلو ان البحتري استعرض في مرثاته صورة اخرى بدل هذه الصورة فحدثنا عن الفة الناس الذين كان يجمعهم القصر ويضلهم برواق السعادة ويكتنفهم بخيرات الترف وبركات النعيم وكيف صارت تلكم الالفة الجامعة الى الفرقة والشتات والى ضلال الفزع وذهول الحيرة لما بلغ تاثير البحتري هذا الحد البعيد في غوره ومداه.

صدقوني اني لاجد في استعراض هذه الصورة الكاملة من مثيرات الحزن ودواعي الحسرة وبواعث الاشفاق والرحمة، اثرا عظيما تضج به النفس وتضطرب له اشد الاضطراب

اليس هذا البيت رمزا يدل في يسر وقوة على كمال المعاني الانسانية وسموها في نفس الشاعر؟ ان رحمة الانسان بالانسان لا تحد ومن سوء الفهم لمعاني الانسانية الكاملة ان يحاول المرء تحديد شعوره السامي الذي يدفعه دفعا الى الرحمة والترفق. وكل حد يجعل نهاية قصوى لتحديد ما يتولد عن هذا الشعور من قول وعمل ومن سعي متدارك وبذل جديد يكون دون شك بترا لهذا الشعور قاضيا بفساده او بتلاشيه وتلفه، وليس يحمد الشاعر ان هو قصد الى تصوير هذا الشعور

الانساني فأظره في مظهر قاصر محدود . يتناول الانسانية مترفقا باخيه الانسان ليس غير ، اذ ان الشاعــر ينزع الى استحضار المثل العاليـة ورحمـة الانسانية لا تحد باي مثـال مهما كان رفيعا عاليا ما لم تتسع حدود محيطه ويبعد في استغراقه وشموله . ولقد تفطن نبوغ البحتري لهـذا وادركت عبقريته انه ليس من فضـل الانسية ان يرثى لهـؤلاء الذين تعست حالهـم من العذاري الحسان ومن جواري القصر والصبايا والفتيـان رأى انـه ليس من الفضل في شيء أن يرثى لهؤلاء ولا يرثى لحال غيرهم فتسامى به الخيال والشعور الانساني الكامل الى استعراض هـذه الصورة التي جعلت شعورنا يفيض متفجرا ويعم بفيض غمراته الانسان والحيوان .

الخيـال الاستحضاري والخيال الابتكاري

ويحسن هنا ان نلم بايسر تعريف الخيال اذ لعلنا على ضوء هذا التعريف الجامع نستطيـع ان نتبين اقسامـه وان نستوضـح خصائص كل قسم وان نعـرف الى اي حـد نتصل هذه الاقسام بقوة الادب وضعفه ويكفي ان نذكـر في تعريـف الخيـال : انـه جميع العمليات العقلية التي ينشأ عنها استحضـار صور ذهنيـة قد تكون في جملتها قريبة الشبه والمطابقة للتجارب الماضية والمدركات الحسية السابقة . وهذا ما يسمى بالخيال الاستحضاري . وقد تخرج عن حدود هذا الشبه القريب والمطابقة المماثلة بحيث تكـون الصور الذهنية جـديدة التكوين وليدة الابداع لا عهـد لنا بها من قبل اذ ليس ثمة ما يماثلها في محيط الواقع والتجارب السالفة . ومعنى هذا ان الشاعر يجرد من هياكل الاشياء نعوتا اذا اجتمعت تألف من جملتها مثال مبتكر طريف وهذا ما يسمى بالخيال الابتكاري .

وما من شك ان الادب في بداءته يستند الى ذلكم الطرف الاول اذ به يستذكر الانسان حوادثه الماضية والوان الاشياء واجزاءها وتراكيبها على ما هي عليه وبه يحكي ما حـدث ويصف ما كان . وهذا الاستحضار الخيـالي يعين الاديب ولكنه لا يكون عنصـرا من عنـاصر القـوة الا في نوعـي الادب القصصي والوصفي . .

اما ذلكم الخيال الابتكاري المبدع فهو العنصر الذي يسمو بالادب ثم يسمو به الى حيث يحلق في مسابح بعيدة الافاق وهنالكم يستنزل وحـي الهامه من المثـل العالية للجمال . وعلى هـذا النـوع من الابداع الخيالي يقوم الادب الغنائي والتمثيلي . . وعليه يقوم النقد اذ انه يدلنا في صدق وصراحة على اختلاف طبائع الادباء وكبر نفوسهم وعلى شـارات كل اديب وميـزاته ولونـه الـذي يرسلـه على ما يناوله من شتى المعاني والاغراض . (يتبع)

« احمد مختار الوزير »

صفحة من

الادب التونسي

في القديم

من علماء تونس في القرن الثاني عشر وشعرائها الشيخ عبد الله السنوسي المترجم له في كتاب عنوان الاريب للعلامة الشيخ محمد النيفر . وللشيخ عبد الله السنوسي هذا ثلاثة ابناء محمد وهو اكبرهم ومحمد الوسط واحمد اخذوا العلم عن والدهم قال العلامة الشيخ ابن ابي الضياف في شانهم .

كانوا على درجة عليا في العلم والفضل واكبرهم آية الله في الشعر وألادب وشعره يسع ديوانا معروفا عند اهل الادب واوسطهم آية الله في الفقه والتصوف . قال : ولم اقف على تاريخهما . اما اصغرهم فقدترجم له وفيما يظن ان اكبرهم وهو الشيخ السنوسي توفي على راس القرن الثالث عشر . ومن شعره ما هنأ به النجم ابن سعيد حين ختمه لكتاب الشمائل ونصه :

أرى ربع من اهواه غير بعيد ... فها هو مني مثل حبل وريد
فعوجا قليلا بي لعلي اشتفي ... بسكب دموع فوق صحن خدود
حكى صوبها صوب الغمام اذا همى ... وصوت زفير القلب صوت رعود
على انه لم يجدني سكب عبرتي ... على طلل عاف بطول عهود
وفي كبدي نار يشيب لهيبها ... لبينهم لم تتصف بخمود
برى الشوق جثماني فصار من الضنا ... دقاق عظام ضمنت بجلود
ولم يبق في جسمي سوى رمق غدا ... دليل حياة مؤذنا بوجود
ولم يثنني عن حبهم طول نأيهم ... ولم اسلهم طول الحياة بغيد
فحبهم وصفي وبي قام لازما ... كما قام وصف العلم بابن سعيد
هو العلم السامي الامام محمد ... سليل علي ذو الوفا بوعود
ومن اسعد الراجين نيل علومه ... بفهم ورأي صائب وسديد
وقد قيد العمر المديد حياته ... بحل عويص او بقيد شرود
فلا جدة اغنته عن حب نائل ... ولكن لزهو في دناه شديد
ومن جعل العلم المشرف بازيا ... لصيد العطايا كان غير رشيد
وما هو الا للنفوس مكمل ... وليس سبيلا لالتقام ثريد

فمن شاء وصف العلم فليك هكذا والا فمنه الذم غير بعيد
حويت ابا عبد الاله شمائلا صعدت بها العلياء خير صعود
فغادرت كل الحاسدين كانهم بقايا ثمود في ديار ثمود
كختمك في يوم شمائل احمد فكنت بذاك الختم خير حميد
فكن ذا فخار ماشيا تحت راية تخفق في دار الدنا وبنود
وتحت لواء المصطفى يوم محشر جزاء لما أرضيته بمزيد
كاني بمرأى منك حقا ومسمع فآونة تلقي لسمع مريد
حديثا باسناد صحيح رويته فانت لما ترويه خير مجيد
وانك ذو لفظ شهي مهذب الى كل من يصغي اليك معيد
يحاكيه لحن الموصلي وزلزل اذا غنيا يوما بشعر لبيد
فكيف اذا تروي الحديث معنعنا ببيت عتيق للالـه مشيد
ولولا وداد منك صح مصاحبا بحسن وفاء بالعهود مديد
لما ملت يوما للثناء على امرء وقمت الى الانشاد بعد قعود
فشعري ذو ود لاهل مودتي وليس لمن لم يهوني بودود
فودي الى طول المدى ليس ينقضي وحقك الا بانتهاء وجودي

فاجابه العلامة ابن سعيد (١) بقوله

لمن ظبيات في معاجر سود تركن اسود الحي غير أسود
وغير بعيد ان يكن اوانسا اتين الينا من جنان خلود
هززن قدودا ثم قلن الى القنا تاخرن ما فيكن مثل قدودي
وأسفرن عن در يقول ابتسامه عقود النجوم الزهر دون عقودي
وابرزن رايات الخدود وقلن لي اياعم هل في الروض مثل خدودي
خليلي لا اخفيكما الحال انني اصبت بها في اعظمي وجلودي
والا فما بالي كان محاجري بمرتميات الدمع واد زرود
ولم أر نيرانا حوائي تلتظي وفي القلب مني حر ذات وقود
على انها لم تلقني بقطيعة ولا اعترضتني في ثياب صدود
سقى باتتيها غاديات يسوقها تبسم برق لابكاء رعود

(١) هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن سعيد صاحب الحاشية الجلية التي كتبها على الاشموني وغيرها المتوفى سنة ١١٩٩

والا دموعي الساريات كأنها — اذا ما اذيلت خافقات بنود
والا يراعات تسيل مياهها — فتنشىء روضي نرجس وورود
يراعة مولانا الرئيس الذي به — عرفنا لساني جرهم وثمود (١)
اخو اللفظ احلى من عتيق مدامة — وابهج من ريا المخلخل رود
اذا هال القى فيه شعلة قابس — وان هان القى فيه نفحة عود
من القوم لا يلقاهم زائر لهم — سوى فرقتين ركع وسجود
على انهم في العلم والحلم والحجى — وبذل العطايا نيرات سعود
ابوه الذي الحمى تخاف بجوده — وهل عرفت حمى تخاف بجود
واغلب فخر من يكون مفاخرا — به وبآباء له وجدود
ايا سيدا ادركت في خلواته — جنود جنيد في جنيد جنود
ويا فاضلا شاهدت في جلواته — صعود سعيد في سعيد صعود
تأن فقد غادرت من كان لاحقا — كانك قد قيدته بقيود
وخل من العليا قليلا فانها — غدت عن جميع الناس ذات ندود
وقم لنقود من حبيب عهدته — على وفق ما ترضى بغير نقود
اتبعث لي بالشمس والبدر ثم لا — تلفعها في سابغات برود
وترسل لي بالشهب لماعة ولا — توصي رسولا جاءني بجحود
فهبني قد انكرت فيما بعثته — ايعوزهم فيها قيام شهود
وكثرت حسادي على أنني امرء — رماني حسود فوق كل حسود
على انني لا استطيع لك الجزا — وان جئت من خير الثنا بوفود
نعم سوف تجزى من شمائل احمد — (٢)
فدم انت والاحباب في خير رفعة — وخل الاعادي في اذل ركود

« انتهت »

---

(١) يظهر من هذا البيت ومن بعض ابيات القصيدة التي هذه جواب عنها ان قائليهما كانا قرينين فليست تلك تهنئة من تلميذ لشيخه بل من تهنئة صديق لصدقه خصوصا ووفاة الشيخ ابن سعيد كانت سنة ١١٩٩ في حال شبيبته والله اعلم .

(٢) بياض بالاصل الذي بين أيدينا فالرجاء من السادة الادباء اذا عثر احدهم على عجز البيت أن يرسله الينا لنقدمه لقراء المجلة ونحن له من الشاكرين

نشرة المجلة الزيتونية

ديــوان

أبى عبد الله محمد الورغى

المتوفى سنة ١١٩٠

تــــونس

مدير المجلة

محمد الشاذلى ابن القاضى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العالم اللغوي الشاعر المفلق مفخرة زمانه ابو عبد الله محمد بن احمد الورغي الكاتب المتوفى سنة ١١٩٠ يخاطب الجناب العالي جناب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر اشواقه الى زيارة قبره الشريف ويشير الى شغف الامير المولى علي باي ابن المولى حسين باي بالحديث واجلال اهله واختصاصه بمؤانسه اهل العلم ومسامرتهم واستلذاذه بذلك

الحمد لله الذى جعل الحديث النبوى امانا من المخاوف . كما جعله مبنى للنجاة ومنبعا للمعارف . وصلاته وسلامه الاتمان على من ختم به الرسالة . كما انار به الحق وطمس به الضلالة محمد سيد العالمين وملجا الثقلين . وعلى آله وصحبه البالغين فى نصرته . المثابرين على اعلاء كلمته . وبعد فان العبد الفقير . تطفل على باب اللطيف الخبير . بمدح رسوله سيد البشر . بما اسكنه من القول وحضر . هدية قدمها بين يدى نجواه . فيبلغ كل من حضر هذا المحفل مناه . ببركة هذا الختم العظيم . في هذا المقام الكريم . والوقت الذى ينزل فيه النعيم . من الرحمن الرحيم . فقلت مخاطبا لذلك الحبيب . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

تملا من شوقي اليك جناني	فهل يبلغ المقصود منك عياني
وهل تمسح الاجفان موطيء اخمص	مشت من ذرى العليا باي مكان
وهل انظرن يوما بقاعا نظرتها	بعينيك او مرت بها القدمان
اماني ما بعد الرضى منك بعدها	لذي صبوة صبت عليه اماني
يقربها مني رجاء يقيمني	ويقعدني عنها شحيح زماني
اذا انبعثت من جانب الغرب رفقة	لنحوك هم القلب بالطيران
وقلبت طرفا جاري الدمع ماله	بقيمة طرف للجنوح يدان
ولو امكنت مابت الا معانقا	بساحة فتح الله حمر هجان
احدثها عجماء عن طيب نجعتي	فتصغى ولا تعيي من الوخدان
وتصبح كالامساء في كل منزل	تقصر طول الخطو بالنزوان
وتختصر التوديع من قبل (رادس)	لتنزل من بعد على صلتان
اذا ابصرت قصر الفلاحين لا ئحا	ففي (المحرس) التعريس بعد ثمان
فان قابلتها (قابس) اودنت لها	(طرابلس) مرت بغير عنان
لتطوي الى (مصر) منازل بعضها	لبعض وان طال المدا متدان
تقول فما في (البركة) الان مبرك	يطيب وقلبي للبويب دعاني
ولا في ربى الخضراء يثبت منسمي	ولا في القباب يستقر جراني
وشوقي لبير النخل من قبل (ايلة)	وقربي (لقو) زاد في هيماني
كاني اذا جئت (المغارة) حالم	له النبك والاقصاب يلتقيان
فمالي وللحوراء ينبع دمعها	ودمعي بذات الدهنوين ثوان
احن الى مرمى (حنين) ومقصدي	مبادرتي (بدرا) بغير توان
لعلي ارى من (رابغ) بعد بزوة	وبير علي عزمة المتوان

فاخلص من وادي السويق وعسفه ... الى مجمع الخلصا الى عسفان
ومن بطن مرو والمساجد دونها ... بيوت الى البيت العتيق دوان
منازل للاسعاد لا غير كونت ... كفتنا عن الشرطين والدبران
بلغنا بها لا بالسماكين مطمحا ... به الوحي والارسال يلتقيان
مزار يروح الزور منه بما اتوا ... له من منى عظمى وعقد امان
اذا ما افاضوا مصدرين ومسحوا ... بايمانهم من اسود ويمان
دعتهم الى الاقلاع كوم مسنة ... تخيرها العراف غير سمان
تباري مهب الريح ان قيل طيبة ... وتزري على الاطواق عقد جمان
امن طرب تبكي وحق لصخرة ... تكون كذا فضلا عن الحيوان
لذاك ترى الركب المجدين نحوها ... يخوضون في بحر من الغشيان
سكارى ولكن بالحبيب وذكره ... جرى طرب الجريال في الشريان
فكيف اذا قاموا ومن دون قبره ... اذا حرر التقدير قيد بنان
هناك فحدث كيف شئت عن الذي ... تراه فاني ما ارتضيت بيان
ولا لوم ان افحمت مثلي فانها ... معان تكل الفكر اثر معان
اذا مدحته الآي قبلي فما عسى ... يخمن قلبي او يقول لساني
حماك رسول الله يقبل لاجئا ... اقامت له الأيام سوق طعان
الى اين ان اغلقت بابك دوننا ... وحاشاك إن يؤذى بعرضك جان
اما انك المبعوث للخلق رحمة ... فلست اذا ما كنت لي بمهان
ومن شرعك المحمود ان نخلص الدعا ... لذي الامر في حب وفي شنئان
وهذا علي ابن الحسين كما ترى ... بذكرك مشغول بكل اوان
يعامل من جيراك امتك التي ... توصي بها خيرا بكل حنان
ويروي احاديثا اليك استنادها ... لتجزيه خيرا عن فل وفلان
ولا تلهه الاشغال عن نشر طيبها ... صحاح على طول المدا وحسان
ولكن في الجعفي منه محبة ... تخلص من ضيق ومس هوان
لما انه لما بنا القبة التي ... اجاد لها الاحسان خير مكان
حمى وطئها الا بختم صحيحه ... باخلاص نيات وبث مثان
فكان ابتداء الختم بدء دخولها ... وكان بليل القدر من رمضان
وانت بها يا اكرم الخلق حاضر ... تشاهد ما ياتي به الثقلان
عسى نفحة من فيض فضلك تحتوي ... وتشمل هذا الجمع بالسريان
فيرجع راو للحديث وسامع ... ومبني بما يشفي الغليل وباني
عليك صلاة الله ثم سلامه ... وذالك طرا ما التوى الملوان

وقال يمدح مخدومه الجامع بين شرفي العلم والامارة
المنعم المبرور أبا الحسن علي باشا ابن محمد التركي
صاحب تونس ويهنيه بعيد الفطر

أعيدا حديث الانس عن ساكن السفح ... عسى تبردا ما بالجوانح من لفح
وإياكما ذكر العذيب فانه ... على غيرتي عنه غني عن الشرح
خليلي لا أنسى وقد جئت حيها ... وحيدا أسر الخطو في غيهب الجنح

تطالعني الجوزاء شزرا وينطوي(١) — على حنق قلب السماك مع النطح
وما وطئت رجلي على غير شائك — ولا قبضت كفاي إلا على رمح
أحاول منها لفتة لا لريبة — واطلب منها نغمة لا على قدح
ولولا انتشار النشر من طي ردنها — وبرق ثناياها ضللت الى الصبح
فأيقظها ملبعد (٢) خفق حشاشتي — وقد عاد حرب الدهر فيها الى الصلح
فوافت ويا لله كابن محمد — وقد قام للتعييد في ساحة الصرح
ألا إنه الباشا الذي اعترفت له — ملوك(٣) الورى بالخلق والخلق السمح
همام اذا عاينته قلت إن من — سواه من الاملاك من جملة السرح
طوى لاكتساب الحمد كل تنوفة — وأصبح عن كسب الهوى طاوي الكشح
وأظهر في ذا الملك كل عجيبة — يغني بها طير الفخار على دوح
رأيناه لما ودع الصوم راجعا — وأقبل عيد الفطر في معرض الفرح
تطلع من بين الاساطين مثلما — تطلع وجه الرشد من خلل النصح
وقام لاعطاء التحية مقبلا — كما انتصب الركن اليماني للمسح
وابرز للتقبيل كفا لو انها — تمر بمقروح لصح من القرح
ولا شك أنا إذ لمسنا يمينه — ظفرنا بكنز اليمن من معدن الربح
فيا أيها الغيث الذي جود كفه — من السدر والابريز منتشر السح
ويا أيها السيف الذي انقطعت به — رقاب بني البهتان من غير ما جرح
فداك من الاسواء كل مملك — سجيته وقف على الجبن والشح
وهنيت بالعيد الذي كل موسم — على إثره أزكى واعظم بالنجح
تحاشا وأيم الله عن كل وصمة — سوى انه قد جاء في أثر الفتح
فلاقاه من والاك كالزهر باسما — وواجه من عاداك في غاية القبح
وأنعم بهذا القصر دهرك باديا — لك البشر من أرجائه عالي القدح
سواريه(٤) مثل الغيد أرخت ذوائبا — ولولا الحيا مالت حواليك للشطح
ترى كل بيضاء الاديم توكأت — على مثلها سمراء في جودة السطح
شددن على الاوساط حزما كانما — يرحين أن تدعو الجميع الى الكدح
وقمن على دست النضار كأنه — من الثلج إلا أنه فاقد الرشح
ونمقن أعلى الوجه نقشا كانه — شظايا فتيل الليل في غرة الصبح
بدائع أزرت بالبديع وأغمدت — مصانع ذي غمدان في حيز الطرح
ورام يحاكيها السدير بما له — وأين من السعدان نابتة الطلح(٥)
وكم لك في نشر المفاخر مثلها — اذا بلغت شانيك أيقن بالذبح
أما يتوقى من يباريك عزمة — تميز بعد المزج عذبا من الملح
بعثت بها للشرق والغرب خطة — تخط بها الاقلام مجدك في لوح
فلا زالت تبدي كل حين غريبة — تروق النهى بدأ وتختم بالمدح

---

(١) وفي رواية وينثني — (٢) أصله من العبد حذف النون تخفيفا على حد قول المتنبي :

نحن قوم ملجن في زي ناس — فوق طير لها شخوص الجمال

اصله من الجن (٣) وفي رواية جميع (٤) وفي رواية حواليه (٥) السعدان نبت من أفضل مراعي الابل وفي المثل مرعى ولا كالسعدان وله شوك يشبه به حلمة الثدي والطلح شجر عظيم تشتكي الابل بطونها من رعيه